الفصل الرابع والثلاثون

مملكة النبط

مملكة النبط ، مملكة عربية لم يعرف الأخباريون من أمرها شيئاً . سداها ولحمتها النبط . وهم قوم من جبلة العرب ، وإن تبرأ العرب منهم ، وعيّروا بهم ، وأبعدوا أنفسهم عنهم ، وعابوا عليهم لهجتهم ، حتى جعلوا لغتهم من لغات العجم ، وقالوا إنهم نبط ، وان في لسان من استعرب منهم رطانةً . وسبب ذلك ، هو أنهم كانوا قد تثقفوا بثقافة بني إرم ، وكتبوا بكتابتهم ، وتأثروا بلغتهم ، حتى غلبت الإرمية عليهم ، ولأنهم فضلاً عن ذلك خالفوا سواد العرب باشتغالهم بالزراعة وبالرعي وباحترافهم للحرف والصناعات اليدوية ، وهي حرف يزدريها العربي الصميم ، ويُعيّر من يقوم بها ويحترفها .

وتكمن عوامل ظهور النبط وغلبتهم على المنطقة التي عرفت بهم ، وتكوينهم دولة بعد أن كانوا أعراباً يعيشون عيشة ساذجة، تكمن في أسباب وأسس اقتصادية[1] فقد تمكن هؤلاء النبط الأذكياء من استغلال موقع بلادهم لمرور شرايين التجارة بين العربية الجنوبية وبلاد الشام بها ، ففرضوا ضرائب على التجار وعلى التجارة عادت عليهم بفوائد كبيرة ، كما قاموا أنفسهم بالوساطة في نقل التجارة بين بلاد الشأم ومصر ومواضع من جزيرة العرب ، فدرّت هذه الوساطة عليهم أموالاً طائلة جعلتهم من الشعوب العربية الغنية بالنسبة الى غيرهم ممن يسكنون البواديَ ، والمواقع المقفرة المنعزلة .

---

١ Die Araber, I, S., 288.

وقد كان ميناء (غزة) ميناء النبط المفضل على البحر المتوسط . وهـو في الواقع ميناء كل التجار العرب ، إذ كان المرفأ الوحيد الذي ترفأ اليه تجارة العرب. وقد استفادوا منه كثيراً لقربه من النبط ، صاروا يشترون منه ما يرد عليـه من بضائع من موانىء البحر المتوسط ، ثم يحملونها الى بلادهم فيبيعونها للتجار العرب القادمين اليهم من الحجاز ومن العربية الجنوبية ومن أمـاكن أخرى من جزيرة العرب ، كما أنهم صاروا يشترون من التجار العرب ما عندهم من تجـارة ، ثم يحملونها الى ذلك الميناء لبيعه في أسواقه ، وبذلك حصلوا على أرباح من هـذه الوساطة في الاتجار .

وقد نشأت دولة النبط التي نتحدث عنها قبل الميلاد في المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العـرب ، في المكان الـذي عرف باسم (العربيـة الحجريـة) (Arabia Petraea) عند اليونان والرومان .

وأما أخبارنا عنها ، فمستمدة من كتب الكلاسيكيين ، ومن مؤلفات المؤرخ اليهودي (يوسفوس فلافيوس) (Josephus Flavius) (٣٧ — ١٠٠ بعد الميلاد). صاحب (Ioudaike Archaeologia) و (Periton Ioudaikon Polemon) [١] ، ومن كتابات عثر عليها في (العربية الحجرية) وفي الأخرى التي خضعت لحكمها وهي نبطية ولاتينية ويونانية . وعلى هذه الموارد يعول المؤرخ الحديث في تدوين تأريخ قوم كان لهم نفوذ وسلطان وصوت مسموع وكلمة، ثم اذا هم في الذاهبين (وتلك الأيام نداولها بين الناس)[٢] .

وقد تضمن القسم الأكبر من كتابات النبط ، كتاب : Corpus Inscriptionum Semiticarum وقد أشير فيه الى المواضع التي عثر فيها على تلك الكتابات، والى السمات التي وسمت بها لتميّز بعضها عن بعض . وأسهمت كتب أخرى بالطبـع في هذا المجهود العسير ، مجهود نشر الكتابات النبطية القديمة وغيرها ، ككتاب : (Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik) ، وكتـاب : Corpus Inscriptionum Semiticarum ، للعالم المعروف (مارك ليدزبارسكي)

---

١ Harvey, P. 228, A. R. Shilleto, The Works of Flavius Josephus in 5 Vols., (Bohn's Standard Library).

٢ سورة ال عمران : رقم ٣ ، الاية ١٤٠ .

(Mark Lidzbarski) [1] ، وكتـاب : (A Text Book of North-Semitic Inscriptions) لـ (كوك) (G. A. Cooke) [2] وكتـاب (REP. EPIG) [3] ، وكتب أخرى سأشير اليها في أثناء الحديث ، يضاف اليهـا ما نشر في المجلات العلمية الاستشراقية كمجلة : (ZDMG) وأمثالها [4] .

أما لغة النصوص النبطية ، فلغة (بني إرم) [5] ، وأما خطها فبالقلم الإرمي، ولكنه (إرمي) مأخوذ من القلم الإرمي القديم ، وقد عـرف عند المستشرقـين بـ (القلم النبطي) تمييزاً له عن بقية الأقلام [6] . وأما المواضع التي عثر على هذه الكتابات فيها فهي عديدة ، منها (بطرا) و (الحجر) (Hegra) و (العلا) و (تيماء) و (خيبر) و (صيدا) (Sidon) و (دمشق) ومواضع متعددة من (حوران) ومن (اللجاة) [7] و (طور سيناء) والجوف واليمن ومصر وايطاليا وأماكن أخرى ستّرد أسماؤها في ثنايا هذا الفصل [8] .

وتختلف الكتابات النبطية القديمة ، من حيث رسم الحروف ، بعض الاختلاف عن الكتابات النبطية المتأخرة المدوّنة بعد الميلاد ، وتختلف أيضاً باختلاف الأماكن التي وجدت فيها ، فلكتابات (طور سيناء) مثلاً خصائص كتابية محلية لا نجدها في النصوص الأخرى . وتفيدنا هذه الخصائص المحلية والتطورات التي طرأت بمرور العصور على أشكال الحروف في مثل (التربيـع) والانفصال والاتصال وتقاربها و تباعدهـا من الخط الكوفي في دراسة تطور الخطوط السامية ، وعلاقاتها بعضها ببعض [9] .

---

١ Mark Lidzbarski, Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik nebst Ausgewählten Inschriften, Weimar, 1898, Ephemeris für Semitische Epigraphik, I, Giessen 1901, 11, 1903, III, 1912.

٢ G. A. Cooke, A Text-Book of North-Semitic Inscriptions : Moabite, Hebrew, Phoenician, Aramaic, Nabataean, Palmyrene, Jewish, Oxford, 1903.

٣ Repertoire D'Epigraphie Semitique.

٤ Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Geselschaft.

٥ (بنو ارم) ، الطبري (١/٢٢٠) (طبعة ليدن) .

٦ Lidzbarski Nord. Epig., I, S., 180.

٧ البلدان (٧/٣٢٣) .

٨ Musil, Deserta, P., 471, Lidzbarski, I, S., 121, 122.

٩ Lidzbarski, I, S., 121, 194.

وهي على اختلافها تشارك الكتابات العربية التي عثر عليها في العربية الجنوبية أو في المواضع الأخرى من جزيرة العرب في كونها شخصية في الغالب . كتبت في أمور خاصة ، لا علاقة لها بالمجموع . فهي لا تفيد المؤرخ إفادة مباشرة ، ولكنها تفيد الباحثين من غير شك في أمور أخرى ، تفيدهم في الدراسات اللغوية مثلاً ، فهي كنز لا يقدر بثمن من هذه الناحية . أما الكتابات العامة ، أعني النصوص التي لها علاقة مباشرة بالدولة وحياة الشعب وبساسة الحكومة أيام السلم أو الحرب ، فهي قليلة جداً — ويا للأسف — مع انها المادة الأساسية في كتابة التاريخ [1] .

والكتابات النبطية المؤرخة مثل الكتابات السامية الأخرى ، قليلة بالنسبة الى الكتابات الغفل من التأريخ . أما طرائق توريخ الحوادث عند النبط ، فكانت متعددة منها التوريخ بأيام الملوك كأن يذكر اسم الشهر الذي دوّن فيه النص ، ثم يذكر بعده عام التدوين ، فيقال مثلاً : (في شهر كذا من سنة كذا من حكم الملك .....) (بيرح ..... شنت ..... ملك نبطو .....) . وقد استعملت هذه الطريقة في أيام استقلال النبط خاصة . والتوريخ بسني حكم قياصرة (رومة) وذلك بذكر الشهر الذي دوّنت فيه الكتابة ، ثم السنة المصادفة من سني حكم القيصر الذي في أيامه جرى التدوين ، أو السنة المصادفة دون الاشارة الى اسم الشهر [2] .

وقد عثر على كتابات مؤرخة بسني حكم (القناصل) ، وعلى كتابات أخرى أرخت بتقويم (بصرى) ، ومبدأه اليوم الثاني والعشرون من شهر (آذار) من سنة (١٠٦) بعد الميلاد ، وقد أرخ به في كتابات (طور سيناء) كذلك [3]. وظلت الأقسام الجنوبية من (الكورة العربية) تؤرخ به حتى بعد فصلها من هذه الكورة والحاقها بـ (كورة فلسطين) [4] . وأرخ بالتقويم (السلوقي) ، وأوله

---

١ Lidzbarski, I, S., 163.

٢ Lidzbarski, I, S., 112, REP. EPIG., 128, I, II, P., 113, Euting, Sinal. Inschr., No : 457.

٣ Lidzbarski, I, S., 113, Euting 319, 457, 463, Berger, No : 1060.

٤ Provincia, III, S., 303.

اليوم الأول من شهر (تشرين الأول) (اكتوبر) من سنة (٣١٢) قبل الميلاد[١] .

وأرخ بأيام القيصر (بومبيوس) حيث اتخذت مبدأ لتقويم يبدأ بشهر (تشرين الأول) ، (اكتوبر) من سنة (٦٣) قبل الميلاد ، أرخ به في الكتابات وفي النقود[٢] .

وأرخ في بعض الكتابات النبطية بتواريخ محلية كانت متعارفة عندهم مشهورة، كما فعل غيرهم في جزيرة العرب حيث أرخوا بالحوادث المحلية المهمة ، نظراً لما كان لها من شهرة بينهم . وقد تمكن العلماء من تشخيص بعض منها، ولم يتمكنوا من تشخيص بعض آخر . ومن الكتابات المؤرخة بتواريخ محلية كتابة عثر عليها في مدينة (فيليبوبولس) (Philippopolis) ، وقد أرخت بتقويم يبدأ بسنة (٢٤٨) تقريباً أو بين سنـــة (٢٤٧) وسنة (٢٤٩)[٣] . ومدينة (شقا) (شقة) ، وقد أرخت في عدد من كتاباتها بسنة (٩٢) بعد الميلاد . ومدينـــة (Constantia) وهي (البراك) في (اللجاة) وفي عدد من الكتابات التي عثر عليها في موضع (شيخ مسكين) ، وهو (Maximinopolis) على رأي بعض الناس[٤] .

والرأي السائد اليوم بين العلماء أن النبط عرب مثل سائر العرب، وان استعملوا الإرمية في كتاباتهم ، بدليل ان أسماءهم هي أسماء عربية خالصة، وانهم يشاركون العرب في عبادة الأصنام المعروفة عند عرب الحجاز، مثل (ذي الشرى) و (اللات) و (العزى) ، وانهم رصعوا كتاباتهم الإرمية بكثير من الألفاظ العربية، وبدليل اطلاق اليونان واللاتين والمؤرخ اليهودي (يوسفوس) كلمة (العرب) على النبط ، واطلاق اسم (Arabia Petraea) أي (العربية الحجرية) على أرضهم ، ولو لم يكن النبط عرباً ، لما أطلق (الكلاسيكيون) كلمة العرب عليهم ، وما كانوا يدخلون بلادهم في ضمن العربية ويجعلونها جزءاً من أجزائها الثلاثة .

وقد كان النبط من أهل جزيرة العرب في الأصل ، نزحوا من البـوادي الى

---

١ Berytus, Archeological Studies, Published by the Museum of Archeology of the American University of Beirut, Vol., I, American Press Beirut, 1934, P., 36.

٢ Provincia, III, S., 304.

٣ Provincia, III, S., 205.

٤ Provincia, III, S., 305, 306.

أعالي الحجاز فأقاموا بها، ثم سرعان ما استقروا وتحضروا وأقاموا يفلحون الأرض ويزرعونها ، فأقاموا لهم مستوطنات زراعية ، واستقروا في المدن والقرى، محترفين بمختلف الحرف وفي طليعتها التجارة وبالاشتغال بالقوافل التجارية التي تنقل التجارة بين مختلف الأمكنة ، فجمعوا من ذلك مالاً وثراءً . وقد ذهب بعضهم الى أن أصلهم من العربية الجنوبية ، وأن عرقهم هذا هو الذي جعلهم يشتغلون بالزراعة وبالعمارة وبالحرف التي كانت مألوفة عند العرب الجنوبيين منذ العهود القديمة[1] .

ولقد وجدنا طائفةً من العلماء تتنكر لهذا الرأي ولا تراه ، وترى في الألفاظ العربية الممزوجة في الإرمية بكثرة،وفي تشابه الأسماء واشتراكها بين النبط والعرب، أثراً من آثار الاختلاط والاتصال بحكم السكنى المشتركة والجوار ، ولا علاقة له بوحدة الجنس ، وترى لذلك أن النبط إرميون احتكوا بالعرب وتأثروا بهم ، أو أنهم إرميون استعربوا من بعد[2] .

أما ان النبط من بني (إرم) لأنهم كتبوا بلغتهم ، واستخدموا قلمهم، فهو قول مردود ، فقد كتب غير النبط ومن غير (بني إرم) بلغة (إرم) وبقلم (إرم) ، ولم يقل أحد من العلماء إن جميع من كتب بلغة الإرميين وبقلمهم هم من (بني إرم) حتماً . ولا يمكن أن يقال ذلك ، لأن الإرمية كانت قد تغلبت على أكثر لغات الشرق الأدنى وصارت لغة الكتابة والتدوين قبل الميلاد وبعده بقرون . تغلبت على العبرانية مثلاً وزاحمتها حتى فضلت عليها عند المتكلمين بها من الخاصة والسواد الى نهاية القرن السابع بعد الميلاد ، فدوّنت بها كتب من (التركوم) والأدعية والشروح و (مجلة تعنيت) و (أنطيوغيوس) وغيرها من مؤلفات القرنين الثاني والأول قبل الميلاد[3] . وألفت بها فيم بعد الميلاد ، فلا عجب إذن إذا ما دوّن النبط أو غيرهم من العرب بالإرمية لغة الفكر والثقافة ، وتكلموا بلغة أخرى هي لغة اللسان[4] . وقد كان الأعاجم في الإسلام يتكلمون بألسنة أعجمية ، ويدوّنون باللسان العربي لسان العلم والفكر والقرآن .

---

١ Deities, P., 4.

٢ Kennedy, P., 34.

٣ قاموس الكتاب المقدس (١/٥٨) .

٤ Ency. Bibli., P., 277, 282.

تلك هي آراء المستشرقين في أصل النبط . أما رأي أصحابنا الأخباريين فيهم فخلاصته ان النبط « جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقين ، سُمّوا بذلك لكثرة النبط عندهم ، وهو الماء . وسُمّي أولاد شيت أنباطاً لأنهم نزلوا هناك . هذا أصله ، ثم استعمل في عوام الناس وأخلاطهم ... »[1] والعرب تنفر من النبط وتنظر اليهم نظرة ازدراء واحتقار ، واذا أراد أحدهم الاستهانة بأحد قال له « يا نبطي » . (وفي حديث الشعبي ان رجلاً قال لآخر يا نبطي ، فقال : لا حدّ عليه كلنا نبط ، يريد الجوار والدار دون الولادة)[2]. وورد في الأخبار: « أهل عمان عرب استنبطوا ، وأهل البحرين نبط استعربوا »[3] . وضرب المثل في رطانة كلام النبط بالعربية وقبحه : « وقد قبح الكلام ، وصار على كلام النبط »[4] الى غير ذلك من كلام فيهم يشير الى ازدراء العرب بنبط العراق ، ونبط الشأم وبالنبط عامة .

وقد أشار المسعودي الى ان « من الناس من رأى ان السريانيين هم النبط ..» وقال في معرض حديثه عن أهل نينوى : « وكان أهل نينوى ممن سمّينا نبيطاً وسريانيين ، والجنس واحد ، واللغة واحدة ، وانما بان النبط عنها بأحرف يسيرة في لغتهم ، والمقالة واحدة » . وجعل النبط أهل بابل ، وملوك بابل هم ملوك النبط . وذكر أيضاً ان هنالك من يزعم ان النبط هم (نبيط بن ماش بن إرم ابن سام بن نوح)[5] . فيفهم من كلام (المسعودي) انه لم يكن على علم واضح بأصل أهل نينوى وبأصل أهل بابل ، فجعلهم من السريان ومن النبط. والمسعودي مثل بقية الأخباريين عني بالنبط المتكلمين بالإرمية (الآرامية) من أهل العراق . والسريانية كلمة حديثة عهد ، يراد بها لغة بني إرم ، أي (الإرمية) . ولا يرتقي اسم (السريان) (Syrians) على كل حال أكثر من خمسمئة سنة أو أربعمئة

---

١ تاج العروس (٥/٢٢٩) ، القاموس (٢/٣٨٧) ، اللسان (٩/٢٨٨ وما بعدها) ، البستان (٢/٣٥٠) .

٢ تاج العروس (٥/٢٣٠) .

٣ استعجم العرب في الموامي بعدك ، واستعرب النبيط
الاغاني (٥/٦١) ، صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الاثار ، محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي ، القاهرة (١٩٥ م) (٢/١٨٩) ،

٤ الاغاني (٥/١٦) .

٥ مروج الذهب (١/١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٢٦٦) ، (طبعة المطبعة البهية) .

سنة قبل الميلاد . واما اطلاق اسم السريان عـــلى الإرميين الشرقيين ، اي إرمي العراق ، فقد حدث بعد الميلاد . أطلق عـــلى متنصرة الإرميين ليميزوا عن بني جنسهم الوثنيين ، فصار له مفهوم خاص ، وصارت كلمة (إرمي) (آرامي) تعني الصابىء والوثني أما كلمة (سرياني) فتعني النصراني حتى اليوم[1] .

أما (ماش) (Mash) ، فهو أحد أبناء (أرام) ذكر في (التكوين)، مع (عوص وحول وجاثر) بمعنى انهم اخوته[2] . ودعي (ماشك) في (أخبار الأيام الأول)[3] . ويظن أنهم سكان (ماش) (ماشو) في النصوص الأشورية، أي بادية الشأم[4] . و (إرم) هو ابن (سام بن نوح) في التوراة[5] . وتتفق رواية (المسعودي) المأخوذة من أقوال أهل الكتاب ولا شك ، مع ما جاء في التوراة من أن (ماش) هو ابن (آرام) ، وهو (إرم) . وأما مـــا ذكره على لسان غيره أو لسانـــه من ان النبط هم (نبيط) وأن (نبيطاً) هو ابن (ماش) ، فهو قول لم يرد في التوراة . ولا يعرف العهد القديم شخصاً اسمه (نبيط بن ماش بن ارام) . ويقصد المسعودي من (نبيط) (نبـايوت) ، ولا شك و (نبايوت) هو الابن البكر لاسماعيل في التوراة[6] .

أمـــا أنهم سموا نبطاً لكثرة النبط عندهم وهو الماء ، أو لاستنباطهم الماء ، وإنباطهم الآبار ، وما شاكل ذلك من تفاسير وردت في معنى النبط[7] ، فهـــو كلام كان يسمع في القديم . أما اليوم فلا يمكن أن يقام له وزن .

والنبط في عرف الباحثين هم (نبط) و (نبطو) في الكتابات[8] ، والكلمة

---

١ لمعرفة ما قيل في اصل لفظة (السريان) وتكونها ، راجع : (دليل الراغبين في لغة الاراميين) تأليف القس يعقوب أوجين حنا الكلداني ، طبع مطبعة ديـــر الاباء الدومنيكيين في الموصل سنة ١٩٠٠ م (ص ٩ وما بعدها) .

٢ التكوين : الاصحاح العاشر ، الاية ٢٢ .

٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٧/٢) الاصحاح الاول ، الاية ١٧ ، Ency. Bibli., P., 2972

٤ Hastings, PP., 606.

٥ التكوين : الاصحاح العاشر ، الاية ٢٢ .

٦ التكوين : الاصحاح ٢٥ ، الاية ٣ ، اخبار الايـــام الاول ، الاصحاح الاول ، الاية ٢٩ .

٧ ابن دريد : الاشتقاق (٢٣٦/٢) (طبعة وستنفلد) .

٨ (نبطو) ، CIS, II, I, II, P., 184, II, 157.

اسم علم ليس غير مثل سائر أسماء الأعلام ، لا علاقة له لا بالماء ولا باستنباط الماء . حار الأخباريون فيه فعالجوه على مألوف طريقتهم بإيجاد معان للأسماء ، وتعليلات وأسباب ، وظنوا انهم بهذا التعليل وجدوا سر التسمية ووقفوا عليه ، ولا سيما ان النبط زراع ، ولهم مياه غزيرة وعلم بالماء ، وان النبط : الماء الذي ينبط من قعر البئر اذا حفرت ، فقالوا : النبط من نبط ، فالمسألة اذن سهلة هينة . انهم سمّوا نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين ، وهو الماء[1] .

وأشير الى النبط في حديث عمر : « تمعددوا ولا تستنبطوا » ، أي تشبهوا بمعد ولا تشبهوا بالنبط . وفي الحديث الآخر : « لا تنبّطوا في المدائن » أي لا تشبهوا بالنبط في سكناها واتخاذ العقار والملك . وورد ذكر النبط في خبر مرفوع الى ابن عباس : « نحن معاشر قريش من النبط من أهل كوثى ربّا ، قيل : ان ابراهيم الخليل ولد بها ، وكان النبط سكانها »[2] . وورد في حديث (عمرو بن معديكرب) حين سأله (عمر) عن (سعد بن أبي وقاص) ، فقال : « أعرابي في حيبْوته ، نبطي في جيبْوته » ، أراد انه في جباية الخراج وعمارة الأرضين كالنبط حذقاً بها ومهارة فيها، لأنهم كانوا سكان العراق وأربابها. وفي حديث أبي أوفى : « كنا نسلف نبيط أهل الشأم »[3] .

ويقال الآن في نجد للشعر العامي (الشعر النبطي) أو (شعر النبط)، ويرى الباحثون في هذا النوع من الشعر انه منسوب الى نبط العراق[4] . وعلى كل فإن لهذه التسمية علاقة باسم هذا الشعب العربي القديم الذي نتحدث عنه .

والنبط الذين قصدهم الأخباريون إذن ، هم قبط آخر لا نريدهم نحن في هذا الفصل ولا نقصدهم ، هم يقصدون بقايا الشعوب القديمة خاصة النازلين في البطائح منهم ، ومنهم مترسبات الإرميين في العراق والشأم ، وذلك قبيل الإسلام وفي الإسلام ، وكانوا يتكلمون بلهجات عربية ولكن برطانة أعجمية وبلكنة غريبة

---

١ اللسان (٧/٤١١) (صادر) ، البستان (٢/٢٢٥٠) .
٢ اللسان (٧/٤١١) .
٣ اللسان (٧/٤١٢) .
٤ خالد بن محمد المفرج : ديوان النبط ، مجموعة من الشعر العامي في نجد . دمشق ١٩٥٢ م (ص : ط) ، محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي : صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الاثار ، القاهرة ، ١٩٥١ م (٢/١٨٩) .

ظاهرة . أما نبطنـــا ، فهم أصحاب كتابات مدوّنة بالإرمية ، وقد عاشوا في (العربية الحجرية) وفي مناطق أخرى خضعت لسلطانهم لم تكن البطائح منها على كل حال ، كما عاش فرع آخر منهم في (تدمر) ، وسيأتي الحديث عنهم .

وعندي أن النبط عرب ، بل هم أقرب الى قريش والى القبائل الحجازية التي أدركت الإسلام من العرب الذين يعرفون بـ (العرب الجنوبيين). والنبط يشاركون قريشاً في أكثر أسماء الأشخاص ، كما يشاركونهم في عبادة أكثر الأصنام . وخط النبط قريب جداً من خط كتبة الوحي ، وقد قلت إن من العلـــماء من يرى أن قلمنا هذا مأخوذ من قلم النبط . يضاف الى ذلك ما ذكرته من وجود كلمات عربية كثيرة في النصوص النبطية المدوّنة بالإرمية ، هي عربية خالصة من نوع عربيـــة القرآن الكريم . لهذه الأسباب أرى أن النبط أقرب الى قريش والى العدنانيين على حدّ تعبير النسابين من العرب الجنوبيين الذين تبتعد أسماؤهم وأسماء أصنامهم بعداً كبيراً عن أسماء الأشخاص والأصنام عند قريش وبقية العدنانيين . أضف الى هذا ما ورد في التوراة وما عند أهل الأخبار من أن (نبايوت) وهو (نابت) أهل الأخبـــار ، هو الابن الأكبر لأسماعيل ، واسماعيل في عرف النسّابين هو جدّ العرب العدنانيين .

وقد سبب تدوين النبط كتاباتهم بالإرمية خسارة فادحة لنا لا تقدر بثمن ، لأنه حرمنا الحصول على نصوص بلهجات عربية قديمة نحن في أشد الحاجة اليها ، لما لها من فائده في دراســـة تطوّر اللهجات العربية واللهجة التي نزل بها القرآن الكريم والمراحل التي مرّت بها . وخاصة أننا لا نملك من النصوص العربية المدوّنة باللهجات العربية الشمالية القريبة من عربية القرآن سوى بضعة نصوص .

ويعد (ديودورس الصقلي) أقدم كاتب (كلاسيكي) تحدّث عن النبط . يليه (سترابون) ، فبقيـــة (الكلاسيكيين) الذين عاشوا بعدهما . وفي تأريخ (يوسفوس) اليهودي المتوفى حوالي سنة (٩٥) بعد الميلاد ، أخبـار مفيدة عن النبط ، ولا سيما علاقتهم بالعبرانيين الذين كانوا على اتصال وثيق بهم بسبب الجوار .

وقد تطرق (سترابون) الى أمور لم يتطرق لها (ديودورس) ، أخذها من صديق له اسمه (أثينودورس) (Athenodrous) ، وكان فيلسوفاً ولد بين النبط وعاش بينهم . وقد حدّثه هذا الفيلسوف ان عدداً كبيراً من الرومان ومن الغرباء

من الجنسيات الأخرى كانوا يعيشون بين النبط ، وكانوا في نزاع وخصام بينهم. أما النبط فكانوا على صفاء ووئام ، يعيشون عيشة سلام وراحـة[1] . ويتبين أثر اختلاط الغرباء بالنبط ، في الآثار الباقية وفي الكتابات اليونانية والرومانية التي عثر عليها في أرض النبط وعلى النقود .

وقد شملت مملكة النبط في أوج أيامها منطقة واسعة ضمت (دمشق) و (سهل البقاع) (بقـأث هـ ـ لبنون) (Biq'ath Ha-Lebanon) (Coele Syria) ، والأقسام الجنوبية والشرقية من فلسطـين وحوران و (أدوم) (Idumaea) ، ومدين الى (ددن) (ددان) وسواحل البحر الأحمـر . وثبت أيضاً ان جماعة من النبط سكنت في الأقسام الشرقيـة من (دلتا) النيل ، وقد تركت لنا عدداً من الكتابات[2] .

ولا يعرف الموطن الأصلي الذي جاء منه النبط على وجه التحقيق ، ولا الزمان الذي هاجروا فيه منه . ويظن بوجه عـام انهم كانوا بـدواً في الأصل من سكان البادية الواقعة شرق شرقي الأردن ، ثم ارتحلوا نحو الغرب فنزلوا أرض (أدوم) وضايقوا الأدوميين الذين ارتحلوا نحو الشمال والغرب اختيـاراً أو كرهاً ، فسكنوا في المناطق الخصبة المشرفة على البحر المتوسط . وكان ذلك حوالي (٥٨٧) قبل الميلاد . ولا يعرف على وجه العموم في الزمن الحاضر شيء ما عن مبدأ تأريخ النبط[3].

ويرى بعض العلـماء أن النبط هم (نبياطي) المذكورون في أخبـار الملك (أشور بنبال) (Aschurbanipal) ، وهم أيضاً (نبايوت) (Nebojot) = (Nabatene) أولاد اسماعيل في التوراة[4] . وهم سكان أرض (Nabatene)[5] .

---

١ Sir Alexander B.W. Kennedy, Petra, its History and Monuments, London, 1925, P., 33.
وسيكون رمزه : Kennedy

٢ Ency., Vol. III, P. 801, Clermont Ganneau, Les Nabatiens en Egypte, in Recueil d'Arch. Or., VIII, 1924, PP. 229.

٣ Kennedy, P., 29.

٤ J. Hastings, Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol., IX, P. 121.
وسيكون رمزها : ENCY. RELIG.

٥ Josephus Flavius, Antiquities of the Jews, I, XII, 4, Col., I, P., 103, A. R. Shilleta, London, 1911, (Bell and Sons).

ويعارض هذا الرأي بعض آخر ، ولا يرى وجود صلة ما بين النبط و (نبياطي) أو (نبايوت)[1] . وأما النبط المذكورون في (المكابيين) ، فهم النبط جماعتنا الذين نتحدث عنهم الآن[2] .

وقد أطلق (يوسفوس) اسم (النبطية) (Nebaioth) على منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات فتصل بحدود الشأم الى البحر الأحمر ، وهي من مناطق أولاد اسماعيل[3] . ويظهر من تأريخ (يوسفوس) أن مؤلف هذا التأريخ كان يرى وجود صلة بين اسم (نبايوت) وهو اسم ابن (يشمعيل) (اسماعيل) وبين اسم النبط ، والى هذا الرأي ذهب أيضاً (جيروم) (Jerome)[4] .

ومن أخبار (ديودورس) عنهم أن معظم بلادهم قفرة قليلة الماء والقسم المنبت منها قليل ، لذلك عاش سكانها عيشة أعرابية ، على الغزو ، وعلى التحرش بحدود جيرانهم ، لعلمهم أن من الصعب على الجيوش تعقب آثارهم والالتحام بهم في البادية لقلة الماء ، وإلا تعرضت للتهلكة والموت عطشاً .

أما هم ، فلهم آبار مخفية ، وكهاريس أغلقت فتحاتها ، فلا يعلم أحد من الناس سواهم أين هي ؟ يشربون منها متى شاءوا ، ويأخذون منها ما يحتاجون اليه . وهم قوم يحبّون الحرية ويقدسونها ، ويأبون الخضوع لحكم الغرباء . ولهذا لم يخضعوا لحكم الأشوريين أو الميديين أو الفرس أو لحكم ملوك المقدونيين ، مع ان هذه الدول أرادت استعبادهم فأرسلت عليهم جيوشاً قوية ، ولكنها لم تنجح في تحقيق ما أرادت ، ولم تتمكن من السيطرة على هؤلاء الأنباط[5] .

وقد ذكر عنهم انهم كانوا يجمعون المطر ويخزنونه في الصهاريج،التي لا يعرف مواقعها أحد غيرهم ، وانهم كانوا لا يذيقون ماشيتهم الماء الا في كل ثلاثة أيام ، حتى تتحمل عطش البادية وقلة مائها ، وبذلك تتعود هذه البوادي القاسية.

---

١ E. Schrader, K.L.T., S., 151.

٢ المكابيون الاول ، الاصحاح الخامس ، الاية ٢٥ ، الاصحاح التاسع ، الاية ٣٥ ، Hastings, P., 649.

٣ Josephus, Antiqu., I, 12, 4.

٤ Ency. Bibl., P., 3254.

٥ Diodorua, 19, 94, 1-100, 3, Die Araber, I, S. 31, 284, J. Cantineau, Nabatéen et Arabe, I, in L'Inst. des Etudes Orient d'Alger, 1934-1935, 4.

أما الناس ، فكانوا يعيشون على اللحوم والحليب ، يضاف الى ذلك نوع من (الفلفل) ولب بعض الشجر ، حيث تخلط بالماء[1] .

وقد أخذ (ديودورس) أخباره عن النبط من مؤرخ قبله هو (Hieronymos of Cardia) = (Hieronymos of Kardia) ، ويعود خبره الى حوالي السنة (٣١٢) قبل الميلاد ، اذ تحدث هذا المؤلف عن حملة (انطيغونس) (انتيكونس) (Antigonos) على القبائل العربية، فذكر (النبط) (Nabataioi) = (Nabatoioi) وأشار الى الحملة التي أرسلت عليهم[2] .

ويتبين من أقدم الأخبار الواردة في الكتب (الكلاسيكية) عن النبط أنهم كانوا في بادىء أمرهم أعراباً رعاة ماشية ، ومنهم أصحاب قوافل يتعاطون التجارة ، ويقيمون حول البحر الميت ، وكانوا يستخرجون (الاسفلت) من سواحله الشرقية فيحملونه الى مصر لبيعه الى المصريين[3] . وكانت لهم أماكن محصنة تحصيناً طبيعياً يلتجئون اليها فيصعب على العدو مباغتتهم ومهاجمتهم في هذه الحصون ، كما أن لهم علماً بصحاريهم وبمواضع الماء فيها ، يحتمون بها عند الحاجة ، ويتخلصون بذلك من تعقيب الجيوش . ويذكر أنهم جنوا أرباحاً كثيرة من اتجارهم بالاسفلت، إذ كان المصريون يشترونه منهم لاستعماله في (المومياء) ، ولهذا أقبلوا عليه اقبالاً كبيراً ، درّ على النبط ربحاً طيباً[4] .

وقد وصفوا بأنهم كانوا يكرهون الزراعة ويزدرونها ، كما كانوا يزدرون السكنى في بيوت مستقرة ، وكانوا رعاة يربون الأغنام وبقية الماشية . إذا وجدوا غريباً بينهم قتلوه ، لأنهم كانوا يخشون أن يقعوا تحت حكم الأجانب فيفقدوا حريتهم[5] . ووصف (سترابو) النبط ، فقال : إنهم تجار ، أقاموا في بيوت من الحجر ، وقد اشتغل قوم منهم بالزراعة[6] .

لقد أظهر هؤلاء الرعاة مقدرة فائقة وكفاية لا تقدر في تكييف أنفسهم وفي

---

١ Diodorus, 19, 49, Die Araber, I, S., 32.

٢ Diodorus, 19, 94, 1-100, 3, Die Araber, 1, 31.

٣ Ency., Vol., III, P., 801, Deities, P. 4.

٤ Die Araber, I, S., 34.

٥ Die Araber, I, S., 283.

٦ Dieties, P., 4.

أخذهم بالأساليب الحديثة في الحياة . تمكنوا من استغلال أرضهم وما فيهـا من موارد طبيعية ، وتعلموا استغلال مناجم النحاس والحديد القديمة في (أدوم) ، واستخدام هذين المعدنين المهمين في صنع المواد اللازمة لشؤون الحيـاة . وأخذوا من (الهللينية) تنظيم المدن وأصول الادارة والفن وحوّلوا مدينتهم الصخرية الى مدينة حديثة جميلة تنطق حـتى اليوم بكفاية أصحابها وبقابلياتهم للمدنية . كما اقتبسوا من (الفرث) (Parthian) ما يلائمهم ويوائم حيـاتهم وحاجاتهم[1] . وضربوا النقود على طريقة اليونان والرومان فأحسنوا في صنعها وأجادوا وأثبتوا أن العربي كيفما كان أمره قابل للتطور والابداع والأخذ والاقتباس ، وأنه إذا هيئت له الظروف وأرشده المرشدون ووجهوه توجيهاً حسناً ، أفاد نفسه وقومه والبشرية خير افادة .

ومن النبط انتقلت المصنوعات النحاسية والحديدية المصنوعة في بلاد اليونان أو الشأم أو في بطرا الى اليمن ، وقد كانوا واسطة لنقل (الهيللينيـة) الى العرب الجنوبيين . وقد عثر في (خولان) من اليمن على رأس مصنوع من النحاس ، محفوظ الآن في المتحف البريطاني ، يشبه وجهه الوجوه المطبوعة على النقود النبطية المضروبة في القرن الأخير قبـل الميلاد ، لذلك يرى الباحثون أنه من صادرات مملكة النبط الى اليمن ، وأنه من المصنوعات المتأثرة بالطابع (الهيللينيّ)[2] .

ويحدثنا (ديودورس) ان (انطيغونس) (Antigonus) الذى خلف الاسكندر في سورية ، جرّد حملة على النبط قوامها أربعة آلاف جندي من المشاة وستمئة فارس جعلها في قيادة صديقه (أثينيوس) (Athenaeus) ليجبرهم على التحالف معه وتأييد مصالحه . وأمره بمباغتتهم وسلب كل ما يمتلكون من ماشيـة . فسار القائد من مقاطعة (أدوم) (Idumaea) بكل حذر وتكتّم لكيلا يعلم أحد من النبط به . وباغت الصخرة في منتصف الليـل ، فقتل من حاول المقاومـة وأسر خلقاً منهم ، وترك الجرحى ، واستولى عـلى ما وقعت عليـه يده من البخور والتوابل والطيب والفضة . ثم أمر قوته بالاسراع بالرجوع ، فلما قطعت مسافـة مئتي (اسطاديون) أضناها التعب ، ونهكهـا قطع الطريق ، فاضطرت الى قطع

---

١ M. Rostovtzeff, II, PP. 853.

٢ Rostovtzeff, II, P., 855, R. P. Hings, in British Museum Quarterly, XI, 1937, PP., 153, H. Shlobies. Forschungen und Fortschritte X, 1934, S., 242.

السير للاستراحة في معسكر أقامته . وفيما كان الجنود ينعمون بنومهم ، هاجمهم النبط وأعملوا فيهم السيوف ، فلم ينج من رجال الحملة الا خمسون فارساً هربوا بسلام بعد أن أثخن أكثرهم بالجراح . وكان ذلك كما يزعم (ديودورس) بسبب تهاون رجال الحملة بأمر الحراسة وعدم تصورهم ملاحقة النبط لهم ، وتمكنهم من الوصول الى هذا الموضع في خلال يومين أو ثلاث[1] .

وذكر (ديودورس) ان اليونان تخيّروا الوقت المناسب حينما باغتوا (الصخرة) فقد كان من عادة أهلها الذهاب الى أسواق مجاوريهم للامتيار ولمبادلة سلعهم بسلع يحتاجون اليها من جيرانهم،تاركين في صخرتهم أموالهم ونساءهم وأطفالهم وعجزتهم وشيوخهم . ولم تكن الصخرة مع حصانتها ، مسوّرة ، فانتهز رجال الحملة هذه الفرصة ، وباغتوا الحصن على نحو ما ذكرت . فلما بلغ الخبر النبط،تركوا السوق وتراكضوا الى الصخرة ، وأسرعوا يتعقبون أثـــر اليونان حتى أدركوهم في ذلك الموضع ، فانتقموا منهم شر انتقام ، وعلموهم درساً لا ينسى ولا شك في وجوب اتخاذ الحذر والحيطة وتقدير كل أمر حقّ قدره مهما صغر وتفه، وقد تأتي التوافه بنتائج لا تأتي من عظائم الأمور . أما تأريخ ارسال هذه الحملة ، فكان في سنة (٣١٢) قبل الميلاد[2] .

وبعد انتقام النبط ممن حاول استرقاقهم ، عادوا الى الصخرة راضين مطمئنين، فنظموا أمورهم ، ثم كتبـوا الى الملك (انطيغونس) كتابـاً كتب بالأبجديـة السريانية يلومـون فيه (أثينيوس) (Athenaeus) على ما فعل بهم،ويعتذرون فيه عما بدر منهم ، ويحمّلون صاحبه وزر صنعه . وقد أجابهم الملك بأن ما حدث لم يكن بعلمه ورضاه ، وأن قائده عمل برأيه فخالف أمره ، ولذلك فهو يحمله وزره ، ويرجو أن تتحسن العلاقات فيما بينهم وبينه ، وأن ينسى ما حدث ، وكان غرضه من هذا الكلام التأثير عليهم ، وجلبهم اليه ولو الى حين حتى يرى أمره ، فان أبوا ضرب ضربته . ونال ما أراد .

وبعد مدة هيأ قوة قوامها أربعة آلاف مسلح من المشاة ، وأربعة آلاف من الفرسان جعل قيادتها تحت إمرة ابنه (ديمتريوس) (Demetrius) ، للانتقـام

---

١ Die Araber, I, S., 33, J. Cantineau, Le Nabatéen, I, 1932, II.

٢ Booth, P., Book, XIX, VI, Kennedy, PP., 30, Deities, P., Ency. Relig., Vol., 9, P. 121, Ency., III, P., 801, Die Araber, I, S., 33.

من النبط بأية طريقة كانت . فلما سمع النبط بقدومها ، أمنوا أموالهم في مواضع حصينة يصعب الوصول اليهـا ، ووضعوا عليها حراسة كافية ، وسلكوا طرقاً متعددة تؤدي بهم الى البـادية . فلما وصل (ديمتريوس) الى (الصخرة) ، هاجمها بعنف وشدة ، غير أنه لم يفلح في اقتحامها والاستيلاء عليها ، ورجـع بجيوشه قانعاً بالهدايا التي قدمت اليه[1] .

ويذكر (ديودورس) أن النبط كانوا قد لجأوا الى اتخاذ أماكن حراسة وضعوا فيها حُرّاساً ، واجبهم تنبيه النبط حين تبدو ظاهرة خطر عليهم ، بإيقاد نيران في مواضع مرتفعة من تلك الأماكن ، تكون علامة على وجود الخطر . فلما ظهر (ديمتريوس) متجهاً نحو الصخرة ، أوقـد الحُرّاس النار ، فهرب النبط الى مواضع أمينة من البادية ، وتخلصوا مع أموالهم منه ، لأنه خاف مـن ملاحقتهم لعدم تمكن جيشه مـن تعقب آثارهم ولخوفهم من ولوج البادية . وقـد كان (المقدونيون) يخشون من دخولها[2] .

كان النبط من الشعوب العربية التي جمعت ثروة عظيمة،واكتنزت الذهب والفضة بفضل اشتغالها في التجارة وموقعها الممتاز الذي تلتقي عنده جملة طرق تجارية برية كانت عمادطرق القوافل في ذلك الزمن اليها يصل طريق اليمن والعربية الجنوبية المهم الموازي للبحر الأحمر ، ومنها يتفرع الطريق الى مصر والشأم وغزة والمدن الفينيقية عـلى البحر المتوسط ، واليها يصل طريق تجاري آخر مهم يصل الخليج بمدينة (بطرا). ويصل مدينة تجارية أخرى لم يكن شأنها في التجارة أقـل من شأن عاصمة النبط ، وأعني بها مدينة جرها Gerrha على الخليج . فتحمل اليها تجارة الهند وما وراء الهند ، وحاصلات ايران والعربية الشرقية لتوزع منهـا في الشأم ومصر وموانىء البحر المتوسط . وقد عمل ملوك النبط بكل ذكاء على الاستفادة من هـذه الطرق واستغلالها لمصلحتهم ومصلحة مملكتهـم[3] . وقد اقتضى ذلك بالطبـع وضع حرس قوي لحماية القوافل واجراء التسهيلات الضرورية لأصحابها والاتفاق مع سادات القبائل لضمان سلامتها مقابل مبالغ تدفع لهم عن المرور (الترانزيت) .

---

١ Booth, PP., 650, Book, XIX, VI, Kennedy, P., 31, Die Araber, I, S., 32.

٢ Diodorus, 19, 94, 6, 19, 2, Die Araber, I, S., 284.

٣ M. Rostovtzeff, The Social, II, P., 841.

وقد أدت سياسة البطالمة الرامية الى السيطرة على البحر الأحمر واحتكار التجارة البحرية الى إلحاق أضرار فادحة بالنبط وبغيرهم من العرب الذين كانوا يتاجرون في البحر الأحمر . فاضطر النبط الى التحرش بسفن البطالمة وبمهاجمة السفن التي تتجه نحو مصر وبأخذ ما فيها ، فاضطر (بطلميوس الثاني) (٢٨٥ – ٢٤٦ قبل الميلاد) الى انشاء قوة بحرية لحراسة السفن التجارية ، وقد ألحقت هذه القوة خسائر فادحة بأسطول النبط[١] ، منعت النبط أمداً من التعرض لقوافل البطالمة ، غير ان النبط كانوا ينتهزون الفرص ، فلما انشغل (بطلميوس) بالحرب مع (سلوقي) سورية عادوا الى مهاجمة سفن البطالمة والسفن الذاهبة أو الآيبة من مصر[٢] .

وألحقت سياسة (بطلميوس فيلادلفيوس) ومشروعاته الرامية الى السيطرة على البحر الأحمر وعلى تجارة البلاد الحارة، أضراراً خطيرة بالتجارة العربية ، أثرت تأثيراً سيئاً جداً في الوضع السياسي في جزيرة العرب . إذ أفقدت العرب السيطرة على البحر الأحمر وأوجدت لهم منافسين خطيرين نافسوهم في أسواق إفريقية والهند ، ولم يكن من السهل التغلب عليهم ، بفضل ما أدخلوا على سفنهم من تحسينات فنية وابتكارات ، وما خصصوا بها من قوات لحمايتها من تعرض سفن العرب لها . وقد ابتنى (بطلميوس فيلادلفوس) مدينة (Berenice) على خليج العقبة (Atlantic Gulf) لحماية التجار والسفن من تعرض النبط . ولعلّ ميناء (امبلونه) (Ampelone) الذي أسسه تجار الروم في جزيرة العرب على ساحل البحر الأحمر تجاه (العلا) على رأي بعضهم ، هو من المواضع التي أنشئت لهذه الغاية في هذا الزمن[٣] . وبإنشاء هذه المواضع سيطر اليونان على البحر والطريق التجاري القريب منه ، كما تمكّنوا من ضمان الحصول على حاجاتهم بشراء ما يريدون من حاصلات الجزيرة ومن بيع ما يريدون بيعه في هذه الموانىء أيضاً .

وكان من نتائج هذه السياسة التي اقتفي أثرها من جاء بعد (بطلميوس فيلادلفوس) من الملوك والقياصرة ، مشاطرة تجار العرب أرباحهم العظيمة التي

---

١ Strabo, III, P., 204.

٢ Murry, The Rock City Petra, P., 80, Die Araber, I, S., 285.

٣ M. Rostovtzeff, The Social., Vol., I, P., 387.

كانوا يجنونها من الاتجار مع مصر والشأم . فلم يدخل في امكانهم وضع الأسعار كما يريدون ويشتهون كما كان ذلك سابقاً . إذ وضع سادة بلاد الشأم ومصر الجدد أسعاراً ثابتة للبضائع العربية والهندية التي تصل الى بلادهم ، كما فرضوا عليها ضرائب معينة بحسب قوائم جديدة . وبذلك تحكموا في الأسعار التجارية العالمية ، وحرموا تجارة جزيرة العرب وسادتها من ملوك متاجرين وأسر غنية متنفذة ربحاً عظيماً ، وألحقوا بخزانتهم خسائر كبيرة . وكان من أثر هذه السياسة الصارمة هبوط الأسعار هبوطاً بيناً في الأسواق[1] .

وقد تمكن الباحثون في تأريخ النبط من ضبط أسماء جملة ملوك حكموا النبط. ولا نستطيع اليوم ذكر اسم أول من أسس مملكة النبط ، ولا الزمن الذي أسست فيه تلك المملكة ولا الأسرة التي نسلت اولئك الملوك . وكل ما نستطيع قوله هو ان استقلال النبط كان قبل الميلاد ، واننا نعرف أسماء بضعة ملوك حكموا قبل الميلاد ، بصورة أكيدة لا مجال فيها لأي شك ، كما نعرف أسماء ملوك كان حكمهم بعد الميلاد .

ويكثر اسم (الحارث) (أرتاس) (ارتياس) (Aretas) = (Arethas) بين أسماء الملوك ، حتى لقد ذهب الظن ببعض الباحثين الى ان هذا الاسم هو لقب ، وانه في معنى (فرعون) بالنسبة الى ملوك مصر ، و (قيصر) بالنسبة الى ملوك الرومان والروم ، و (النجاشي) بالنسبة الى ملوك الحبشة ، و(كسرى) بالنسبة الى ملوك الفرس ، و (تبع) بالنسبة الى ملوك اليمن[2] . أما الاسم الذي يليه في المرتبة فهو (عبادة) و (مالك) و (رب ال) (رب ايل) . وذهب بعض آخر الى ان لفظة (Aretas) هي اسم الأسرة الحاكمة التي حكمت النبط ، وانها من أصل (آرامي) هو (حرتت) (Charethath)[3] .

وفي الفصل الخامس من أسفار (المكابيين الثاني) ان (أرتاس) زعيم العرب طرد (ياسون) (Jason) من أرضه (فجعل يفر من مدينة الى مدينة والجميع ينبذونه ويبغضونه بغضة من ارتد عن الشريعة ، ويمقتونه مقت من هو قتّال لأهل

---

١ Rostovtzeff, The Social., Vol., I, P., 387.

٢ The Bible Dictionary, Vol., I, P. 107.

٣ Hastings, P. 48.

وطنه حتى دحر الى مصر)[1] . ويظهر من هذه الآية ان الحارث كان قد طرد (ياسون) من أرضه . وتغلب عليه ، وصار يتعقبه حتى هرب الى مصر . وكان (ياسون) قد اختلف مع أخيه (أونياس الثالث) (Onias III) في يهوذا على الكهانة العظمى . وقد حكم (أرتاس) أي (الحارث) المعروف بـ (حرثت) (حرتت) (حارثة) (Harithat) في الكتابة النبطية في حوالي سنة (١٦٩) قبل الميلاد . ونظراً الى انه أول ملك وصل اسمه الينا في الأخبار ، أطلق الباحثون عليه لقب (الأول) تمييزاً له عن بقية من جاء بعده حاملاً هذا الاسم[2] .

ويلاحظ أن الآية المذكورة لم تلقب (الحارث) بلقب (ملك) ، وإنما نعتته بـ (زعيم) ، أو بما شابه ذلك من معان ، هي دون درجة (ملك) . أما الموارد التأريخية ، فقد لقبته بلقب (ملك)[3] .

وقد وردت كلمة (النباطيين) ، وهم النبط ، في موضع من الفصل الخامس من سفر المكابيين الأول ، وذكرت بعدها بجملة آيات كلمة (العرب) . وكان هؤلاء العرب يشدون أزر (تيموتاوس) الذي حارب (يهوذا المكّابي) (يهوذا مكابيوس) (Judas Maccabaeus) (١٦١ ق. م.)[4] أما النبط فكانوا على وئام مع المكابيين: (يهوذا المكابي) وأخوه (يوناتان) وكانت صلاتهم بجيرانهم المكابيين حسنة . ويظهر من الآية التي ذكر فيها اسم (العرب) أن (تيموتاوس) وأنصاره كانوا قد استأجروا العرب للقتال معهم[5] . وأغلب الظن أن المراد بـ (العرب) . في هذه الآية هم جماعة من الأعراب .

وطلب (يوناثان) (المتوفى سنة ١٤٣ ق. م.) — الذي انتخب مكان أخيه يهوذا المكابي بعد مقتله — من النبط مساعدتهم ، أن يعبروه عدة يستعين بها على أعدائه ، وذلك حين طلب (بكيديس) قتله . وأرسل (يوحنا أخاه في جماعة

---

١ المكابيون الثاني ، الفصل الخامس ، الاية ٨ .

٢ Ency. Bibli., Vol., 9, P. 121, 296.

٣ Die Araber, I, S. 290.

٤ Ency., Vol., III, P. 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121, E. Schrader, KLT, S., 152, Ency. Bibli., P. 2853.

٥ المكابيون الاول ، الفصل الخامس ، الاية ٢٤ وما بعدها .

بقيادته يسأل النباطين أولياءه . أن يعبروهم عدتهم الوافرة)[1] ، فلما كان يوحنا في (ميدبا) (مأدبا) ، خرج عليه (بنو يمرى) وقبضوا عليه وعلى كل من كان معه وذهبوا بالجميع[2] . ويظهر من ارسال (يوناثان) أخاه النبط ومن جملة (يسأل النباطين أولياءه) الواردة في (المكابيين) أن علاقة المكابيين بالنبط كانت حسنة جداً ، وأن النبط كانوا إذ ذاك أقوياء أصحاب عدة وعتاد .

وأما (بنو يمري) Bene-Amri/Jambri الذين قتلوا (يوحنا) شقيق (يوناثان) ، وهو المعروف بـ (يوحنا المكابي)[3] ، فقبيلة عربية يظهر ان منازلها كانت في (ميدبا) (مادبا) من أقدم مدن (مؤاب)[4] ، وهي تبعد ثمانية أميال الى الجنوب الشرقي من (حسبان) (Heshbon) و (١٤) ميلاً شرقي بحر (لوط)[5] ، وهي مدينة (Mydava) التي ذكرها (بطلميوس) وذكر انها تقع في (العربية النبطية) (Arabia Petraea) و (اندبه) (Undaba) و (Ueddaba) لدى (أويسبيوس) و (Medaba) لدى (جيروم)[6] . وصارت في العصور المسيحية مركزاً لأسقف المقاطعة المعروفة باسم (المقاطعة العربية) (Provincia Arabia) . ولا نعرف في الزمن الحاضر شيئاً من أمر هذه القبيلة (Bene Amri) ، التي لا يستبعد أن يكون اسمها الصحيح (بنو عمرو) .

وذكر (يوسفوس) ان (يوناثان) وشقيقه (سمعان) (Simon) سمعا ان (بني عمرى) (Bene Amri) (Amaraeus) سيقيمون عرساً عظيماً ويزفون العروس من مدينة (Gabatha) = (Gabbatha) ، وهي من أشراف العرب ، فقررا الانتقام من قتلة شقيقهما ، فذهبا مع قوة كبيرة ووضعا كميناً في (ميدابا) (مادبا) . فلما وصل الموكب ، خرج الكمين ، فسقط قتلى كثيرون ، وهرب من تمكن من النجاة الى الجبل[7] .

---

١ سفر المكابيين الاول ، الفصل التاسع ، الاية ٣٥ .
٢ سفر المكابيين الاول ، الفصل التاسع ، الاية ٣٦ ،
Dubnow, II, S., 79, Josephus, Antiqu., XIII, I, II.
٣ (يوحنا مكابيوس) ، قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٩٧) .
٤ (مادبا) ، Dubnow, II, S., 79.
٥ قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٩٧) ، Ency. Bibli., P. 3002.
٦ Ency. Bibli., P. 3003.
٧ Josephus, Antiq., XIII, I, IV.

وحكم بعد (الحارث الأول) الملك (زيد ال) (زيد ايل) ، وذلك في حوالي السنة (١٤٦) قبل الميلاد . ثم الملك (الحارث الثاني) (حرتت) (حرثت)، الذي حكم حوالى سنة (١١٠) قبل الميلاد ، ودام حكمه حتى حوالي عام (٩٦) قبل الميلاد[١] .

ويرى (شرادر) أنه حكم حوالى سنة (١٣٩) قبل الميلاد ، ودام حكمه حتى سنة (٩٧) قبل الميلاد[٢] . ويرى بعض آخر أنه حكم حوالي سنة (١٢٠ ق.م.[٣]) ويظهر أنه كان يعرف بـ (ايروتيموس) (Erotimus) = (Herotimus)[٤] ويظن (شرادر) أنه هو الذي قصده (يوسفوس) حين ذكره في حوادث سنة (٩٧) قبل الميلاد[٥] .

وتوقف بعض آخر في تثبيت اسم من حكم بعد الحارث الأول ، فوضع فراغاً قدره بنحو نصف قرن ، ذكر أنه لا يدري من حكم فيه ، ثم وضع بعده اسم (الحارث) الثاني المعروف بـ (Erotimus II) ، وقد قدر حكمه فيما بين السنة (١٢٠) والسنة (٩٦) قبل الميلاد[٦] .

ولم تصل الينا أخبار واضحة أكيدة عن هذا (الحارث) . ويذكر المؤرخ اليهودي (يوسفوس) أن أهل (غزة) طلبوا منه العون والمساعدة ليتمكنوا من الثبات أمام محاصرة (اسكندر جنيوس) (Alexander Jannaeus) لمدينتهم ، غير أنه خيَّبَ آمالهم ، فلم يساعدهم . وقد نعته هذا المؤرخ بـ (ملك) ، مما يدل على أن هذا اللقب صار لقباً رسمياً لحكام النبط في هذا العهد[٧] .

وذكر أن (ايروتيمس) (Erotimus) = (Herotimus) (الحارث الثاني)، كان قد اهتبل فرصة ضعف الأوضاع في مصر وبلاد الشأم ، فهاجم بأولاده وبجنوده تلك الأرضين ، وغنم منها غنائم كثيرة ، فكوّن بذلك لنفسه وللعرب

---

١ Ency., III, P. 801, Ency. Relig. ,Vol., 9, P. 121.

٢ Schrader, KLT, S. 153.

٣ Die Araber, I, S., 290.

٤ Ency., III, P., 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121.

٥ Schrader, KLT, S., 153.

٦ Deities, P. 540.

٧ Josephos, Ant., 13, 360, Die Araber, I, S., 290.

صيتاً بعيداً [1] .

وتبين للنبط على ما يظهر انهم اذا استمروا في تأييدهم ومساعداتهم للحسمونيين (Hasmoneans) المناضلين للخلاص من حكم السلوقيين السوريين ، ألحقوا أضراراً بمصالحهم الخاصة وبحكومتهم نفسها ، فلم تكن سياسة المكابيين مقتصرة على طلب الاستقلال التام والخلاص من الحكم الأجنبي ، بل كانت تنطوي على الاستيلاء على الأردن والتوغل في مناطق النبط نفسها ، وانشاء حكومة قوية قد تزاحم حكومتهم في يوم من الأيام ، فرأوا ان من الخير لهم ان يدعوا هذا التأييد ، وأن يقاوموا ان احتاج الأمر الى المقاومة . وقد حدث ذلك بالفعل في عهد الملك المكابي (اسكندر جنيوس) (اسكندر ينيوس) (Alexander Jannaeus) (١٠٣ — ٧٦ قبل الميلاد) حيث وقعت حرب بينه وبين النبط بسبب الأردن [2] .

فلما تمكن الملك المكابي مستعيناً بجنود مرتزقة من اليونان ومن أهل آسية الصغرى ومن (المؤابيين) ومن (الجلعاديين) أهل (جلعاد) ، وهم من العرب كما يقول المؤرخ اليهودي (يوسفوس) [3] ، وأجبرهم على دفع الجزية اصطدم بمعارضة الملك (عبادة) (Obedas) الذي أعلن حرباً عليه ، كاد (اسكندر) يهلك فيها لولا الأقدار التي احتضنته ففر مسرعاً هارباً بنفسه الى القدس ،وبذلك كتب لنفسه السلامة والنجاة [4] .

إن (عبادة) (Obedas) = (Obodas) = (Obadath) هذا الذي ذكره (يوسفوس) ، هو (عبادة) المعروف عند المؤرخين بـ (عبادة الأول) تمييزاً له عن ملوك آخرين عرفوا بـ Obedas ، وقد حكم حوالي سنة تسعين قبل الميلاد [5] . وجعل (شرادر) حكمه في عام (٩٣) قبل الميلاد . وقد ورد اسمه مضروباً على النقود [6] .

---

١ Die Araber, I, S. 290.

٢ The Universal Jewish Encyclopedia, Vol., 8, P. 79.

٣ Josephus, Antiq., XIII, XIII, 5, The Jewish War, Book, 1, IV, 3-4.

٤ Dubnow, II, S., 160, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, PP. 399.

٥ Ency. Relig., Vol., 9, P. 121, Ency., III, P. 801, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 409.

٦ Die Araber, I, S., 291, Schrader, KLT., S. 153.

لم ينعم (اسكندر جنيوس) (اسكندر يانيوس) بعد عودته الى القدس بأيام طيبة هادئة ، فلقد جوبـه بمعارضة قوية وبجماعة شديدة أخذت تعارض سياسته وتقاومه ، ودبت الفتنة في كل مكان من مملكته وبلغ من حقد الجماعة عليه انها استدعت (ديمتريوس أويكروس) (Demetrius Eukarus III) المعروف بالثالث من بقايا حكام مملكة السلوقيين السوريين المتداعية ونصبته ملكاً عليها وحاكماً[1] . وهكذا نجد الشعب اليهودي الذي استعاد استقلاله يعود الى طبيعته الأولى ، فينقسم على نفسه ، ويشعل نار حرب أهلية في مملكته ، ويفضل حكم الغرباء على حكم أبنائه . ولما وجد الملك المكابي مركزه حرجاً وخصمه قوياً وانه قد يتغلب عليه، وأن له في الجنوب خصماً آخر طموحاً أقوى من خصمه (ديمتريوس) وأعنف، رأى التودد الى العرب والتحبب اليهم ، فتزل لهم عن (موآب) و (جلعاد) وعن أماكن أخرى كان يخشى من احتمال انضمامها الى خصومه ، وقدمها إلى ملك النبط وتساهل في أمور أخرى ليأمن على ما تبقى من مملكته على الأقل[2] .

وأما (ديمتريوس) الذي ترك (يهوذا) (Judaea) وارتحل عنها ، فقد ذهب الى (حلب) (Boroea) ، وانتصر على أخيه (فيليب) (Philip)[3]. غير أن (ستراتو) (Strato) حليف (فيليب) وأحد حكامه،أسرع فاستنجد في (Zizus) بسادات القبائل العربية وبالفرث (Parthians) ، فأنجدوه وساروا بقوات كبيرة على (ديمتريوس) فانتصروا عليه[4] .

وحكم بعد (عبادة الأول) ملك اسمه (رب ال) (Rabb'il) = (Rabilus). يظهر أن حكمه كان حوالي السنة (٨٧) أو (٨٦) قبل الميلاد . ويعرف عند المؤرخين بـ (رب ايل الأول) تمييزاً له عن عدد من الملوك حكموا بعده عرفوا باسم (رب ايل)[5] . وقد عثر على كتابة وسمت بـ (CIS II, 349)[6] ، مؤرخة في شهر (كسلو) وشهر (شمادا) (Schemada) في قراءة[7] و (شمارة)

---

١ Dubnow, II, 160.
٢ Josephus, Antiq., XIII, XIV, 3, Note 2.
٣ Josephus, Antiq., XIII, XIV, 3, Note 2.
٤ المصدر نفسه .
٥ Ency., III, P. 801, Ency. Reli., Vol., 9, P. 121, Schrader, KLT, S., 153.
٦ CIS, Pars, Secunda, Tomus, I, Fasculus Tertius, P. 306.
٧ وسيكون رمزه : CIS
Provincia Arabia, I, S., 312.

(شمرة) (Schamara) في قراءة أخرى[1] من سنة (١٨) على قراءة[2] أو سنة (١٦) على قراءة أخرى من سني ملك اسمه (حرتت ملك) ، أي (حارث الملك) ، أو (الملك الحارث) بتعبير أصح . وقد دُوّنت هذه الكتابة على قاعدة تمثال عثر عليه سنة (١٨٩٨م) عند (بطرا) (Petra)[3] دوّنت عليها : « هذا تمثال رب ايل ملك النبط بن .... ت ملك النبط عملها .... ب رحيم (حيم) (نى) (مجنى) الأقدم »[4] . فيظهر من هذه الكتابة ان تمثالاً أقيم للملك (رب ايل) عمل في السنة الثامنة عشرة أو السادسة عشرة من سني ملك اسمه (حرتت) ، أي (الحارث) ، وان الذي عمل التمثال شخص لعب القدر ببعض حروف اسمه الأول ، فلم يبق منه الا الحرف الأخير ، وهو (ب) ، كما لعب في طمس معالم بعض الحروف الأخرى من الاسم ،حمل الباحثين على الاختلاف في قراءتها .

أما اسم الملك وهو (رب ال ملك نبطو) ، فهو ظاهر واضح . وأما اسم أبيه الذي هو (ملك نبطو) أي ملك النبط ، فقد سقطت حروفه ولم يبق منه الا الحرف الأخير وهو (ت) ، لذلك اختلف فيه الباحثون ، فمنهم من قرأه (عبدت) ، أي (عبادة) ، فجعل لذلك (رب ايل) ابناً له ، أي لـ (عبادة الأول) ، ومنهم من قرأه (حرتت) ، أي (الحارث) ، فجعل أباه ملكاً اسمه (الحارث)[5] .

ولا نعرف شيئاً يذكر من أعمال (رب ايل) . ولعل ما ذكره (اصطيفان البيزنطي) (Stephanos of Byzanz) نقلاً عن (أورانيوس) من أن ملك العرب المسمى (ربليوس) (Rabilos) = (Rabilus) قتل (انتيغونس) (Antigonos) المقدوني في موضع يقال له (Matho) ، وهو قرية عربية ، أريد به الملك (رب ايل) الذي نتحدث عنه . وقد ذهب بعض الباحثين الى ان المراد

---

١ CIS, II, I, III, P. 306.
٢ Provincia Arabia, I, S., 312.
٣ Provincia Arabia, I, S., 312, Nr. 405, J. Cantineau, 2, I.
٤ CIS, II, I, III, P. 306, Provincia Arabia, I, S., 312, Clermont-Ganneau, Recueil d'Archéol. Orientale, II, PP. 221, Syria, Tome, IV, 1923, P. 152.
٥ Die Araber, I, S., 295, Deities, P. 540.

من لفظة (موثو) (موتو) الموت ، وان المقصود موضع الموت أو قرية الموت، لما وقع فيها من موت ، فعرفت به[1] .

ولا نعلم من أمر (رب ايل) شيئاً يذكر ، والظاهر ان حكمه كان قصيراً، جعله بعضهم نحو سنـــة ، أي سنة (٨٧) قبل الميلاد ، ثم وضع بعده حـــكم (الحارث) المعـروف بالثالث[2] . وهو من أشهـــر الملوك المتقدمين من النبط ، وأخبـــاره أوضح من أخبـــار من تقدمه ممن ذكرت . وقـــد ذهب بعضهم الى احتمال كونه هو (اروتيموس) (Erotimus) المذكور في التواريخ اليونانية[3] . وذهب بعض الباحثين الى أن حكم الحارث كان من سنة (٨٥) حتى سنة (٦٠) قبل الميلاد ، أو من سنة (٨٧) حتى سنة (٦٢) قبل الميلاد[4] . وإذ صح أنـــه أدرك سنة (٦٢) أو (٦٠) قبل الميلاد ، يكون الرومان قد استعادوا مدينة دمشق في أيام هذا الملك ، إذ يرى كثير من المؤرخين أن (اللجيونات) الرومانية العاملة بإمرة القائدين (لوليوس) (Lollius) و (ميتيلوس) (Metellus) قد احتلت المدينة عام (٦٥) قبل الميلاد، ثم دخلها (بومبيوس) في سنة (٦٤) قبل الميلاد[5] . وذهب بعض الباحثين إلى أنه اضطر الى اخلاء (دمشق) سنة (٧٠) قبل الميلاد، إذ لم تستطع جيوشه الوقوف أمام جيش الملك الأرمني (تيكرانس) (Tigranes) التي زحفت على بلاد الشام[6] .

وقد عرف الحارث الثالث بـ (فيلهيلن) (Philhellen) ، وهو لقب يوناني (Aretas Philhellene) ، معناه محب اليونان . وقد اشتهر بتوسيعه رقعة ملك النبط . فلما هاجمه (أنطيوخس الثاني عشر) (أنطيخس) (Antiochus XII) وأخذ يتوغل في أرض النبـــط ، أسرع (الحارث) فجمع قواته ووقف بحزم أمام القوات المهاجمة ، ثم اصطدم به عنـــد موضع (Kana) (Cana) ، حيث قضى على معظم جيش (أنطيوخس) وألحقه مع من قتل بالعالم الآخر . وقـــد

---

١ Die Araber, I, S., 294.
٢ Die Araber, I, S., 291.
٣ Die Araber, I, S., 292.
٤ Schrader, KLT, S., Deities, P. 540.
٥ Ency. Bibli., P. 991, Deities, P. 540.
٦ Deities, P. 541.

وقعت هذه المعركة في سنة (٨٦) أو (٨٤ – ٨٣) قبل الميلاد[١] .

ويرى بعض الباحثين استناداً الى النقود التي ضربت باسم (أنطيوخس) ، بسنة (٨٧ – ٨٦) قبل الميلاد ، والتي استمر ضربها ثلاث أو أربع سنين ثم انقطعت أن نهاية هـذا الملك كانت بسنة (٨٥ – ٨٤) أو (٨٤ – ٨٣) ، وهي السنة التي قتل فيها ، وانتهت بانتصار (الحارث) عليه[٢] .

وقد مكن سقوط (أنطيوخس) في تلك المعركة النبط من تقوية أنفسهم ومن شدّ عزمهم ، فلما مات الملك (رب ايل) الأول سنة (٨٧) قبل الميلاد على بعض الآراء ، وتولى (الحارث) الثالث (حارثة) (Aretas) الحكم من بعده انتهز تلك الفرصة فاستولى سنة (٨٥ ق. م.) على دمشق ، وتوسعت بذلك رقعة مملكته وأحاطت بمملكة المكابيين من الشرق والجنوب[٣] .

وقد افتتح عهد (الحارث الثالث) باستيلائه على (دمشق) وعلى (سهل البقاع) (Coile-Syria) = (Koile-Syria) ، فقد استدعاه أهلها لانقاذهم من مهاجمة (اليطوريين) (Ituräer) لهم ، بقيادة ملكهم (بطلميوس بن منيوس) (Ptolemaios Mennaios) ، أي (بطلميوس بن معن) . وهو من أصل عربي أيضاً ، فأسرع اليها ، وكانت يومئذ قصبة (السلوقيين) ، فاستولى عليها ، ودخلت في جملة أملاكه[٤] ، ولقبه أهلها (محب اليونان وحاميهم) (Philhellen) ، لأنه أنقذهم من (غزو الأعراب) لهم[٥] .

الآن وقد أصبح (الحارث) ملكاً على مملكة واسعة الأطراف ، وتشرف على مملكة (يهوذا) المتداعية ، وبإمرته جيش قوي ، كان لا بد له من التداخل في

---

١ (Kana) (Cana) على ساحل البحر المتوسط عند (يافا) ، The Cambridge Ancient History, Vol., 9, P. 400, Josephus, Antiq., XIII, XV, I, Vol., 2, P. 428, The Jewish War, Book, I, IV, 7-8, Die Araber, I, S., 294, Dubnow, II, S., 163, Hastings, P. 147, Deities, P. 540.

٢ Die Araber, I, S., 294.

٣ Bernhard Stade, Geschichte des Volkes Israel, II, S., 504, Berlin, 1888, Deities, P. 540.

٤ Die Araber, I, S., 294, B. Stade, II, S., 405.

٥ Die Araber, I, S., 298, R. Dussaud, Penetration, 55, A. Kammerer, Petra et La Nabatene, 1929, I, 515, A. R. Bellinger, 78.

شؤون هذه الجماعات المتخاصمة المتنافرة التي تكوّن مملكة ، ولكنها لا تخضع لملك ولا لسلطان . واذا لم يتدخل هو بنفسه فإن الأحزاب اليهودية نفسها لا تتركه على الحياد . وهذا ما حدث . فغزا (الحارث) أرض يهوذا ، وفي معركة واحدة وقعت عند موضع (اديدا) (Addida) = (Adida) انهار الجيش اليهودي ، وتشتت شمله ، فلم يبق أمام (اسكندر ينيس) (Alexander Jannaeus) = (Alexandros Iannaios) غير طلب الصلح ، فعقد الصلح ، وعاد النبط الى ديارهم الى حين[1] . ولم يشر المؤرخ (يوسفوس) الى محتويات معاهدة الصلح[2].

أما (Adida) = (Addida) المكان الذي وقعت فيه المعركة ، فهو (الحديثة) على مقربة من (اللد) (Ludda) ، المسماة أيضاً باسم (Diospolis)[3] ، وقد عرفت (Adida) باسم (حاديد) (Hadid) و (حديد) (Hadid) و (Aditha)[4].

لقد تمكن (الحارث) من بناء جيش يعتمد عليه في المعارك ، فبعد أن كان جيش النبط في بادىء أمره جماعات غزو غير منظمة ولا منسقة تهاجم عدوها وتباغته على طريقة الأعراب ثم تتراجع ، يسيّرها العُرف القبلي ، تحسّن جيش النبط بعض التحسن ، وأدخلت على القوات الراكبة بعض الاصلاحات ، غير انها بقيت مع ذلك متأثرة بروح البداوة ، التي لا تقبل الخضوع للأنظمة والأوامر ، والتي لا تهتم الا بالغنائم ، فاذا حصلت عليها رجعت الى مواطنها دون تفكير في العاقبة . فلما استولى (الحارث) على دمشق ، وفيها عدد كبير من اليونان ، انضم بعضهم اليه ، فعملوا على تحسين جيشه وتدريبه ، وعلى تكوين جيش مدرب نظامي ، استعان به في تقوية مركزه حتى صار به من أقوى ملوك النبط الذين حكموا حتى أيامه ، مما حمله على التدخل في شؤون مملكة يهوذا ، ثم على مجابهة الرومان ، وهم أصحاب جيوش منظمة مدربة ، بجيش لم يتعود دخول الحروب النظامية ، فتغلب الرومان من ثَمّ عليه .

---

١ Josephus, XIII, XV, 2, Vol., II, P. 428, Dubnow, II, S., 163, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 400.

٢ Die Araber, I, S., 298.

٣ Hastings, P. 12, 324, Ency. Bibli., P. 1932.

٤ المكابيون الاول ، الفصل الثاني عشر ، الاية ٣٨ ، الفصل الثالث عشر ، الاية ١٣، Ency. Bibli., P. 65, 1932, Jerome, Onom., 93, Die Araber. I, S., 298.

فلما دبّ الخلاف بين الأخوين (أرسطوبولس) (Aristobolus) و(هركانوس) (Hyrcanus) ، ابني (اسكنـــدرة) (Alexandra) على الملك ، وانقسمت (يهوذا) إلى أحزاب وجماعـــات أبرزها جماعـــة (الفريسيين) (Pharisées) يؤيدون (هركانوس) وجماعة(الصدوقيين) (Saddducées) أنصار (أرسطوبولس)، وجمع (أرسطوبولس) حوله أنصاره وجيشاً من العرب ومن جنـود مرتزقة ، وتفوق على أخيه ، طلب (هركانوس) مساعدة النبط ، وبعث صديقه (انتيبطر) (انتيباطر) (Antipater) الى (بطرا) ليتوسط لدى (الحـارث) ، وكان صديقاً له ، في أمر مساعدة (هركانوس) وفي أمر الالتجاء اليـه . فلما نجحت الوساطة ، هرب من القدس ليلاً متجهاً الى النبط ، وطلب من الملك بإلحاح أن يعيده الى (يهوذا) ، وأن يأخذ له التاج من أخيه ، ويثبته في ملكه ، ويتعهد في مقابل هذه المساعدة بإعادة المدن الاثنتي عشرة التي أخـذها أبوه (اسكندر) من العرب ، وهي : (مادبا) (مأدبا) (Medaba) و (نبالو) (Naballo) و (ليبياس) (Libias) و (ثربسة) (Tharabasa) و (اكله) (Agalla) و (اتونه) (Athone) و (زوره) (Zoara) و (اورونه) (Oronae) و (ريده) (Rydda) و (لوسه) (Lusa) و (اوريبه) (Oryba) و(مريسه) (Marissa) الى النبط . فوافق (الحارث) على هذه الشروط ، وهجم عـلى (يهوذا) (٦٦ ــ ٦٥ ق. م.) بجيش قوامه خمسون ألف جندي راجل وفارس شتت شمـــل أصحاب (أرسطوبولس) وتركه وحده ، فهرب الى القـــدس . فتعقبه الحارث على رأس جيش عربـي يهودي كبـــير ، وأحكم عليه الحصار ، وكادت العاصمة تسقط في يديه لولا حدوث تطور سياسي عسكري خطـــير قلب الوضع ، ذلك هو هجوم الرومان فجأة في أيام (بومبيوس) على دمشق وسورية وهجوم قائدهم (سكورس) (Scaurus) على (يهوذا) وتدخله في هذا النزاع[1] .

لقد كان تقدم الرومان هذا في بلاد الشأم تهديداً صريحاً لليهود وللنبط ، أدى بعـــد قرون الى الاستيلاء التام على كـــل فلسطين والأردن وإلحاقها بالمستعمرات الرومانية . وقد كانت فاتحة ذلك تدخل الرومان في شؤون يهوذا ، وتوجيه انذار

---

١ Josephus, XIV, I, 4, II, 1-3, Dubnow, II, S., 172, Josephus, The Jewish War, 302.

تاريخ يوسفوس اليهودي ، المطبعة العلمية ، بيروت (ص ١١٥) .

الى (الحارث) بوجوب فك الحصار عن (القدس) والتراجع عن يهوذا مع جميع جيشه فوراً ان أراد أن تكون علاقاته بـ (رومة) حسنة ، والا عُدَّ عدواً لها ومشاكساً . وقد أدرك (الحارث) ان جيشه لا يستطيع الوقوف أمام جيوش الرومان المدربة المنظمة المسلحة تسليحاً جيداً حديثاً بالنسبة الى أسلحة النبط . ففك الحصار ، وتراجع ومعه (هركانوس) ، فاغتنم (أرسطوبولس) الفرصة ، وكان قد اكتسب ثقة (سكوروس) قائد الرومان ، وتعقب المتراجعين في طريقهم الى (ربت – عمان) (فيلادلفيا) (عمان) ، فالتحم بهم في معركة عند موضع اسمه (بابيرون) (Papyron) ، فانتصر على (الحارث) وقتل ستة آلاف من أتباعه[1] .

وتعقدت الأمور ثانية بين الرومان والنبط ، وهدد (سكوروس) النبط بالزحف عليهم وتخريب بلادهم ، وقرر الحارث في بادىء الأمر تحدّيه ، ثم وجد ان من المستحيل عليه الثبات له ، وتوسط (انتيباتر) فيما بينه وبين (سكوروس) بأن يدفع الحارث جعالة للرومان ، وتصالح بذلك معهم . وقد سرّ (بومبيوس) من هـذه النتيجة حتى انـه أمر بوضع صورة (الحارث) في موكب نصره ، كما سرّ (سكوروس) بذلك اذ أمر بضرب نقد ، صوّر الحارث عليه وقد أحنى رأسه راكعاً وحاملاً سعفة تعبيراً عن استسلامه له[2] .

لقد وقع كل ذلك في حوالي السنة (٦٢) قبل الميلاد ، السنة التي هلك فيها هذا الملك ، وذهبت بوفاته معه كل آماله وأحلامه في أن يكون وريث مملكة السلوقيين في بلاد الشأم . ولعل النكسة التي وقعت له قد أثرت فيه فعجلت منيته.

وقد ورد اسم (الحارث) في كتابة عثر عليها في القسم المعروف بـ (المدراس) (المدرس) (Elmadras) من (بطرا)[3] . و (المدراس) معبد خصص بعبادة الإلـه (ذو الشرى) (Duschara) إلـه النبط الكبير . وقد دوّنها أحد قواد الملك في السنة السادسة عشرة أو السابعة عشرة من حكم (حرتت) (Haritat)

---

١ Josephus, XIV, II, 1-3, Vol., 3, PP. 4, Dubnow, II, S., 176, The Cambridge Ancient History, Vol., IX, P. 382, Die Araber, I, S., 302.

٢ Die Araber, I, S., 303, J. De Morgan, Manuel de Numisme Orient., 2, 1924, 237.

٣ Provincia Arabia, I, S., 209.

في مناسبة تقربه الى الإلـه (ذو الشرى) بصنم لخيره ولخير ملكه[1] .

وحكم بعد (الحارث الثالث) ابنه الملك (عبادة الثاني)،حكم من سنة (٦٢) حتى سنة (٤٧) قبل الميلاد ، أو من سنة (٦٢) حتى سنة (٦٠) على رأي آخر[2] . ولا نكاد نعرف من أمره شيئاً يذكر . وقد عثر على نقد من الفضة ضرب بأمره وهو من فئة الـ (دراخما) (Dirakhma) ، ضرب في السنة الثانية أو الثالثة من سني حكمه . وقد صوّر عليه وجه الملك حليقاً ، وشعر رأسه قصيراً[3] .

ويظهر من رواية أوردها المؤرخ (يوسفوس) أن القائد (A. Gabinius) ، انتصر على النبط في إحدى المعارك ، وأن النبط قد هزموا هزيمـة منكرة . ولم يذكر اسم الملك الذي انتصر عليه هذا القائد . وإذا أخذنا برواية من يجعل هذا الانتصار في السنة (٥٥) قبل الميلاد[4] ، فمعنى هذا أن الملك المغلوب هو (عبادة الثاني) على رأي من يرى أنه حكم من سنة (٦٢) حتى سنة (٤٧) قبل الميلاد ، أو في أيام (مالك الأول) على رأي من يجعل ابتداء حكم هذا الملك من سنـة (٦٠) قبل الميلاد .

وحكم الملك (مالك) (Malichus) = (Malchus) المعروف بـ (الأول) بعد (عبادة الثاني) ، وهو ابنه ، من سنة (٤٧) حتى سنة (٣٠) على رأي . ومن سنة (٥٠) أو حوالي السنة (٤٧) حتى سنة (٣٠) قبل الميلاد على رأي آخر[5] وذهب بعض المؤرخين الى أن (مالكاً) كان قد حكم بعد (الحارث الثالث) ، وأن حكمه كان فيما بين السنة (٦٢) والسنة (٣٠) قبل الميلاد[6] .

وقد انجد النبط في أيام ملكهم (ملكوس) (مالكوس) (Malichus) ،

---

١ Provincia Arabia, I, S., 210, CIS, II, 442, Euting 16, Lagrange 56, Lagrange, Revue Biblique, VII, 1898, P. 165, Clermont-Ganneau, Recueil d'Archeol. Orient., II, P. 379.

٢ اختلف في تاريخ حكمه ولبعض الباحثين رأي اخر ، راجع : Ency., III, P. 801, Dillmann, Neue Petra-Forschungen, 1912, S., 99.

٣ Hill, P. XII, 3, PL., XLIX, 2, 3.

٤ Josephus, Antiqu., 14, 103, Jud., I, 178, Die Araber, I, S., 306.

٥ Hill. P. XIII, Ency. Relig. Vol., 9, P. 121, Ency., Vol., III, P. Schrader, KLT., S., 153.

٦ Deities, P. 541.

أي (مالك الأول) ،(يوليوس قيصر) (Julius Caesar) سنة (٤٧) أو (٤٨) قبل الميلاد في حصاره لمدينة الاسكندرية ، فأمده بقوة من جيشه[١] . كما ساعده أيضاً عدد من سادات القبائل توسط في ارسالهم اليه (أنتيباطر) (Antipater) ، لعلهم من سادات قبائل طور سيناء[٢] .

وكان (انتيباتر) قد تزوج امرأة عربية من أسرة كبيرة معروفة ، نجلت له أربعة أولاد وبنتاً ، وتمكن بهذا الزواج من تكوين صداقة متينة مع ملك العرب (النبط) كما يقول ذلك (يوسفوس) . ولما وقعت الحرب بينه وبين (ارسطوبولس) (Aristobulus) ، أرسل أولاده الى جدهم ملك العرب ليكونوا في مأمن هناك[٣].

وكان لـ (بطرا) أثر مهم في الخصومات الشخصية التي وقعت في مملكة (يهوذا) أيام الملك (هركانوس بن اسكندر) ، هذه الخصومات التي أدت الى تدخل (الفرث) (Parthians) من جهة ، والى تدخل الرومان من جهة أخرى في شؤون مملكة يهوذا ، ولكل دولة مصلحة في هذا الجزء المهم من الشرق الأدنى ومطمع . وللدولتين أنصار وأعوان ، وطامعون في الملك يريدون المساعدة والمعونة للحصول على العرش.والطامعون في العرش والراغبون في الفتن والخصومات في (يهوذا) كثيرون . فلما بلغت جيوش الفرث حدود (القدس) ، بتحريض من (انطيغونس) ابن أخ (هركانوس)[٤]،أسرع (هيرودوس) (Herodus) ابن القتيل (انتيباتر) الذي كان الحاكم الحقيقي في (يهوذا) ، وصاحب النفوذ في المملكة ، وصاحب الحظوة عند الرومان ، فهرب الى النبط ، الى ملكهم (مالك) (Malchus) في عاصمة (بطرا) ، يلتمس منه العون والمساعدة والمال على سبيل الهبة أو الدين لما كان لوالده القتيل من صداقة به ، ليرشو به من ينقذ حياة أخيه . فلما كان في طريقه الى بطرا وصلت رسل الملك تخبره أن الملك لن يتمكن من مقابلته ، وذلك بناءً على طلب ورجاء تقدم به الفرث اليه ، واتصل عندئذ بسادات قبائل عربية كانت لهم صلات وصداقة بوالده ، فلما رأى ذلك آثر

---

١ Deities, P. 541, Die Araber, I, S., 306.

٢ Josephus, Antiq., XIV, VIII, I, Vol., 3, P. 22.

٣ Josephus, The Jewish War, Book, I, VIII, 8.

٤ تاريخ يوسفوس (ص ١٤٦) (Antigonus)
Josephus, Antiqu., XIV, XIII, 3, Dubnow, II, S., 250.

الذهاب الى مصر ومنها الى ايطالية حيث كان له فيها أصدقاء ليساعدوه في الانتقام من قتلة أبيه[1] . والى هذا الملك ، أي ملك النبط (مالك) هرب (يوسف) (Joseph) شقيق (هيرودس) مع مئتي رجل من رجاله ، على أثر هجوم (انطيغونس) ، وحينما بلغه تغير رأيه بالنسبة الى (هيرودس) أخيه[2] .

وعاد (هيرودس) من (رومة) ملكاً ، لقد تفضل (أغسطس) و (أنطونيوس) ومشايخ الرومان عليه فنصبوه ملكاً على اليهود ، على مملكة يعين ملوكها الرومان أو الفرث . عاد بفضل الرومان ، فصار بالطبع آلة في أيدي سادة (رومة) . ولما نشبت الحرب بين (انطونيوس) و (أوكتافيوس) سنة (٣٢) قبل الميلاد، انضم الى حزب (أنطونيوس) صاحب الفضل عليه . أما واجبه الذي كُلِّفَهُ، فقد كان محاربة النبط ، الذين رفضوا دفع الجزية للرومان ، وأبوا الخضوع لهم ، والذين أيدوا الفرث . ولما تمكن القائد (فنتديوس باسوس) (Ventidus Bassus) من ضرب الفرث ومن انزال هزيمة بهم ، أصاب الضرر الملك (مالك) حليف (الفرث) فانتزعت منه بعض أملاكه . لذلك فرح (هيرودس) بهذا التكليف ، وشجعته على ذلك (كليوبطرة) ملكة مصر وصاحبة (أنطونيوس) ، التي طلبت منه الاسراع في محاربة (ملك العرب) الذي أبى دفع الجزية لها ، وكانت تكره (هيرودس) وتريد هلاكه ان أمكن ، فأرادت بعملها هذا أن تقضي عليه ، أو أن تضعف من مركزه ومن مركز ملك العرب، بمحاربتها بعضهما بعضاً فتتمكن من الملكين فيخضعان لها وتكون سيدة (العربية) . وبادر (هيرودس) بمحاربة النبط ، فالتقى بهم عند (اللد) (Diospolis) وانتصر عليهم ، ثم التحم بهم في (قنا) (Cana) (قنوات) (Canatha) في البقاع (Coele Syria) وكاد يتغلب عليهم لولا هجوم (أثنياوس) (Atheniaus) فتغيرت الحال ، وهاجمه النبط أيضاً فسقط عدد كبير من جيشه في ساحات القتال وأسروا من فرّ منهم الى (Ormiza) فاضطر عندئذ الى الرجوع الى (القدس)[3] .

---

١ Josephus, Antiq., XIV, XIV, 1-3, The Jewish War, I, XIII, 8, Book,, I, XIV, 1-2.

٢ Josephus, The Jewish War, Book, I, XV, I.

٣ تاريخ يوسفوس ص ١٦٨ وما بعدها) ،
Josephus, Antiq., XV, 110, 119, The Jewish War, I, XVIII, 4, 1-4, Die Araber, I, S., 306, 307.

وفي القدس أخذ (هيرودس) يحرض قومه على الانتقام من العرب ، والأخذ بالثأر ، ولا سيما بعد هجوم العرب على مملكته ومباغتة مدنه . فنشبت سلسلة من الحروب كلفت اليهود والعرب خسائر كبيرة ، اذ طالت الحروب ، ولم تنته الا بعد مشقة . ويدعي المؤرخ (يوسفوس) ان النصر كان في الخاتمة في جانب اليهود . فقد جمع (هيرودس) كل قواته وأعاد تنظيمها ، ثم عبر الأردن . ولما بلغ (عمان) (Philadelphia) التحم بالنبط ، فأنزل بهم خسائر كبيرة ، إذ سقط منهم خمسة آلاف قتيل ، واستسلم منهم أربعة آلاف رجل كانوا قد تحصنوا في معسكر حصين ، ولكن أجبرهم العطش في الأخير على الاستسلام . كما قتل سبعة آلاف آخرون كانوا حاولوا الفرار من الحصار ، فتعقبهم اليهود وقتلوهم[1] . واضطر النبط عندئذ الى دفع الجزية الى (هيرودس) ، وعقدوا صلحاً معه ، ولم تخالفه العرب بعد ذلك[2] .

يقول (يوسفوس) : إن العرب كانوا يكرهون (هيرودس) وحاولوا الثورة عليه والانتقام منه حتى بعد عقد هذا الصلح . وقد كان في جملة من دفع الجزية اليه العرب الساكنون في (حوران) (Aurantitis) ، بحكم تبرع القيصر (أغسطس) بأرضهم له، إلا أنهم كانوا يدفعون الجزية اليه أحياناً ، وكانوا يمتنعون من دفعها أحياناً ، أخرى ، ويحاولون التخلص منه . ولم تكن قوة (هيرودس) في الحقيقة هي التي جعلت هؤلاء الأعراب يقبلون بمصالحة اليهود أو دفع الجزية لهم ، إنما كانت قوة الرومان التي تسخرها أيد إدارية قوية تحسن التوجيه للبطش في القبائل المتعادية وفي سادات القبائل المتنافسين على الزعامة المتباغضين ، وفي العساكر المسخرين الذين أكرهوا على القتال ، ولم يكن لديهم علم بأسلوب القتال ولا بكيفية استخدام الأسلحة ، ولا عزم على الوقوف في وجه الخصم ، وليس لهم ضباط وقادة مجربون محنكون ، لهم هدف وطني وخبرة بأساليب القتال ، ولم يكونوا يرون في الفرار ما لا يتفق مع واجبهم العسكري .

ولا ندري متى كانت نهاية الملك (مالك) بعد هذه الخسائر التي حلت بالنبط. والظاهر انه لم يعمر بعدها طويلاً ، أو انه مات في أثنائها، فإن المؤرخ (يوسفوس)

---

١ Josephus, Antiq., 15, 153, 157-158, Jewish War, I, 383, Die Araber, I, S., 306.

٢ تأريخ يوسفوس (ص ١٦٨ وما بعدها) ،
Josephus, Antiq., XV, V, 1-5, The Jewish War, Book, I, XIX, 1-6.

الذي هو مرجعنا في أخبار هذه الحروب لم يشر اليه ولم يذكره في الغارة الانتقامية التي أغارها النبط على أسطول (كليوبطرة) عند موضع (Actium) التي أدت الى احراق السفن المتجمعة هناك[1] .

وقد خلف (عبادة) (Obodas) المعروف بالثاني عند بعض المؤرخين وبالثالث عند بعض آخر الملك (مالك الأول) . خلفه على الحكم سنة (٣٠) قبل الميلاد ، ودام حكمه حتى سنة (٩) قبل الميلاد . ويظن انه مات مسموماً سنة (٩ ق. م.) سمه وزيره ومستشاره (صالح) (Syllaeus) الذي قطع رأسه في (رومة) سنة (٥) قبل الميلاد[2] .

وفي أيام هذا الملك كانت حملة الرومان التي أرسلها (أغسطس) بقيادة (أوليوس غالوس) لفتح بلاد اليمن . وهي حملة أسهم فيها النبط بتقديم قوات لمساعدة الرومان ، كما أسهم فيها (هيرودس) ملك (يهوذا) بخمسمئة رجل يهودي ، ضمهم الرومان وسار بهم الى اليمن ، كما تحدثت عنها في كلامي على السبئيين .

ويصف (يوسفوس) (عبادة) بالضعف وفتور الهمة والكسل ، ووصف وزيره (صالح) (Syllaeus) بالقدرة والكفاية على صغر سنه . وانه لذلك كان هو المتصرف في الأمر والمدير لشؤون المملكة ورجل الدولة الحقيقي . وكان صديقاً لـ (هيرودس) يزوره وينزل عليه . وكاد يتزوج أخته لولا اختلاف الدين ، ورفض (Syllaeus) الدخول في الديانة اليهودية ليسمح له بالزواج[3] .

وقد انقلبت المودة التي كانت بين (هيرودس) و (صالح) (Syllaeus) عداوة شديدة ، فسعى (صالح) حين ذهب الى (رومة) لاثارة حفيظة (أغسطس) على (هيرودس) بسبب الحملات العسكرية التي قام بها على أرض (اللجاة) (Trachonites)[4] ، وعلى العرب الذين آووا أهل (اللجاة) وساعدوهم . فلما

---

١ Dio., 51, 7, I, Zon., 10, 30, Plutarch, Anti., 69, Die Araber, I, S., 307.

٢ Deities, P. 541, Ency., III, P. 801, Ency., Relig., Vol., 9, P. 121, Die Araber, I, S., 286.

٣ Josephus, Antiq., XVI, VII, 6, The Jewish War, Book, I, XXVII, I, XXIII, 6.

٤ واللجاة اسم للحرة السوداء التي بأرض صلخد من نواحي الشام فيها قرى ومزارع وعمارة واسعة يشملها هذا الاسم ، البلدان (٣/٣٢٣) ، Josephus, Vol., 3, P. 186, Note : I, The Jewish War, Book, I, XXIV, 6, Antiq., XVI, IX, I-4.

ذهب (هيرودس) الى (رومة) ليرفع شكايته عن ابنه (اسكندر) الى القيصر، والتماسه من القيصر شمول ابنه الآخر (انتيباتر) بالعطف والحماية ، انتهز أهل اللجاة (Trachonites) فرصة غيابه فأعلنوا الثورة وهاجموا الحدود ، وعادوا الى الغزو ، وكان (هيرودس) قد منعهم منه ، وضرب على أيديهم بشدة . فلما تعقبهم وكلاء (هيرودس) وقتلوا خلقاً منهم ، هرب عدد من رؤسائهم الى النبط واحتموا بهم . ولما عاد (هيرودس) أراد الانتقام منهم، فطلب الاذن من حكام سورية الرومان بتأديبهم والموافقة على ارسال قواته الى المقاطعة لمقاتلتهم. ورجا من (عبادة) ومن وزيره (صالح) اجلاء رؤساء أهل (اللجاة) عن أرض النبط وعدم حمايتهم . فلما رفضا ذلك ، طلب من (صالح) اعادة المال الذي اقترضه منه (عبادة) بوساطته . ولما لم تثمر المفاوضات شيئاً ، هجمت قوات (هيرودس) على المناطق التي التجأ اليها الهاربون من أهل (اللجاة) ، فاستولت على (Raipta) معقلهم وهدمته . فلما سمع النبط بذلك ، بادرت جماعة منهم برئاسة قائد يدعى (Nacebus) لمساعدتهم ، فاصطدمت بجنود (هيرودس) وسقط (Nacebus) مع زهاء عشرين رجلاً من أتباعه قتلى في هذه المعركة . ثم أمر (هيرودس) بإسكان الأدوميين في (اللجاة) ، وكتب بذلك الى حاكم (فينيقية) يبين له الأسباب التي حملته على ارسال هذه الحملة على (التراخونيين) أهل اللجاة . ويدعي (يوسفوس) ان (Syllaeus) استغل فرصة وجوده في (رومة) وذهب الى القيصر شاكياً من العمل الذي قام به (هيرودس) ووشى به كثيراً ، فغضب عليه (أغسطس)[1] . غير ان القيصر بدّل رأيه في (صالح) حين اطلع على الخبر الصحيح ، ولما بلغته أخبار وفاة الملك (عبادة) وانتقال العرش الى (Aeneas) الذي غيّر اسمه حينما تولى الملك ودعا نفسه (Aretas) على عادة أكثر ملوك النبط دون أن يكتب ملك النبط اليه ويخبره بالحدث ، فغضب على (صالح) وأمر بمعاقبته[2] . ويدعي (يوسفوس) ان الملك الجديد كان مبغضاً لـ (صالح) ، لأنه كان يعتقد انه كان نفسه يطمع في الملك لما كان له من نفوذ ومال ، وانه كتب الى (أغسطس) يخبره بأنه سمّ (عبادة) الملك

---

١ Josephus, Antiqu., XVI, IX, 1-4.

٢ Josephus, Antiq., XVI, IX, 4, X, 8.

السابق ، وانه قتل عدداً من أشراف المملكة في (بطرا)، من بينهم (Sohemus) السيد النبيل ، الذي يحترمه قومه ويجلونه،وانه قتل (Fabatus) خادم (أغسطس) وفعل أموراً أخرى منكرة تستوجب العقاب[1] .

أما (Nacebus) الذي قتل في معركة (Raipta) ،وهو في موضع في العربية ، فكان صديقاً لـ (Syllaeus) ومن أبناء عشيرته . ويخيل إليّ أن كلمة (Nacebus) ليست علماً لقائد الحملة ، وإنما هي درجة ومنزلة ، وأن معناها (نقيب) ، وهي درجة من درجات الجيش ، ولكني لا استبعد كونها إسماً حرف في اليونانية حتى صار على الشكل المذكور ، وأن الأصل هو (نقيب) أو (نسيب) أو (نجيب) أو ما شاكل ذلك من أسماء . وأما (Sohemus) ، فهو اسم علم قد يكون (سخيماً) أو (سحيماً) أو (سهيماً) ، وكلها أسماء معروفة في الجاهلية .

وقد أشار (موسل) الى رواية ذكرها (أورانيوس) (Uranius) و(اصطيفان البيزنطي) عن تأسيس مدينة (Auara) في أيام الملك (عبادة) ، خلاصتها أن (حارثة) (Aretas) ابن الملك حلم أن والده سينشيء مدينة ، وأن هذه المدينة هي (Auara) من كلمة (حوراء) أي (البيضاء) . فلما قص (حارثة) حلمه على والده ، أخذ يفتش عن موضع أبيض ينشيء عليه المدينة ، وبينما كان يفتش عن هذا الموضع تراءى له شبح رجل أبيض على جمل أبيض استخفى فجأة. فلما دنا من مكان الشبح ، وجد بقايا شجرة ذات عروق ممتدة ، فأمر أن يكون موضع (حوراء) (Auara)[2] .

ويرى (موسل) ان هذه المدينة هي (الحميمة)[3] ، وهي أيضاً (Auara) التي ذكرها (بطلميوس) وتقع في (العربية الحجرية) (Arabia Petraea) على الطريق بين (أيلة) و (بطرا)[4]،وأن الملك المقصود هو (عبادة الأول). وأما الوقت ، فكان في حوالي سنة (٩٣) قبل الميلاد . وقد ذكرت أنه حكم على

---

١ Josephus, Antiq., XVII, IV, 2.

٢ Musil, Hegaz, P. 59, Note 20, Uranius, Arabica, (Müller, Fragmenta), Vol., 4, P. 523, Stephen of Byzantium, Ethnica, (Meineke), Vol., 1, P. 144.

٣ البلدان (٣٤٦/٣) .

٤ Musil, Hegaz, P. 60, Tabula Paulingeriana, Sheet, 8, (Vienna), 1888.

رأي أكثر الباحثين حوالي سنة (٩٠) قبل الميلاد . وأرى أن (Obadas) الذي ذكر (أورانيوس) و (اصطيفانوس البيزنطي) أنه كان صاحب ولد اسمه (حارثة) (Areta) ، هو (عبادة) الثالث ، فقد كان صاحب ولد اسمه (حارثة) وهو المعروف عندنا بـ (Aretas) الرابع . أما (عبادة) ، فالذي خلفه هو (رب ايل) ، لذلك يكون (عبادة) الثالث الذي نتحدث عنه أكثر ملاءمة لرواية المؤرخين من (عبادة الأول) .

وحكم بعد (عبادة الثالث) الملك (الحارث) (حرتت) (Aretas) المعروف بـ (الرابع) والملقب بـ (راحم عمه) (Philopatris) وبـ (ملك النبط)[١]. وقد حكم من حوالي سنة (٩) قبل الميلاد حتى حوالي سنة (٤٠) بعد الميلاد . وورد اسمه في عدد من الكتابات ، منها النصوص المرقمة بـ (CIS 11, 160) و (CIS II, 197-217) و (CIS II, 354) . أما الكتابة الموسومة بـ (CIS 11, 160) فقد أرخت بالعام الخامس من حكمه ، أي سنة (٤) قبل الميلاد[٢] ، وقد ورد فيها اسم الإلـه (دوشرا) أي (ذو الشرى)[٣] .

وأما النص الموسوم بـ (CIS 11, 197) ، فأرخ بشهر نيسان من السنة التاسعة من حكم (حرتت) (الحارث) ، (بيرح نيسن شتت تشع لحرثت ملك نبطو)[٤]، أي في السنة الأولى للميلاد ، وورد فيه أسماء الآلهة : (دو شرا) (ذو الشرى)، و (منوتو) (مناة) (Manutu) و (قيشح)[٥] . وقد ذكرت في هذا النص بعد جملة : (لحرثت ملك نبطو .....) جملة (رحم عمه) ، أي (محب شعبه) ، وهي من النعوت التي ظهرت في الكتابات في هذا العهد .

وأرخ بأيام صاحبنا (حرثت) (الحارث) النص المعروف بـ (CIS 11, 198) وهو أيضاً من النصوص التي عثر عليها في (الحجر)[٦] . ويعود عهده الى شهر

---

١ Ency. Relig., Vol., 9, P. 121.

٢ Ency., III, P. 801, Ency. Relig., Vol., 9, P. 121, Schrader, KLT, S., Provincia Arabia, I, S., 152. Die Araber, I, S., 304.

٣ CIS II, 160. M. A. Levy, In ZDMG., 1869, XXIII, P. 435.

٤ CIS II, I. II, PP. 223, CIS II, P. 194, 4, 197.

٥ CIS II, 197, 5, Huber, 29, Euting 2.

٦ CIS II, I. II, P. 224. Douthy 2, Euting 3.

(طبت) من السنة التاسعة من حكم هذا الملك ، أي الى السنة الأولى للميلاد[1] . وقد وردت فيه بعض الأسماء ، مثل (كمكم) (كمكام) و (ودلت) و (ودّلات) و (حرم) (حرام) و (كلبت) (كلبة) (كليبت) (كليبة) و (وهب اللات) و (عبد عبادة) . وأسماء الآلهة : (دوشرا) و (هبلو) و (هبل) و (منوتو) (مناة) و (اللت) (اللات) .

أما النص (CIS 11, 199) ، فقد كتب في شهر (شباط) من السنة الثالثة عشرة من سني حكم (الحارث) (حرثت) وهي السنة الرابعة بعد الميلاد[2] . وقد أرخت بقية النصوص من (CIS 11,200) حتى (CIS 11, 217) بسني (الحارث) كذلك ، وهي تفيد مثل غيرها فائدة كبيرة من حيث تتبع تأريخ الأسماء، فوردت فيها أسماء كثيرة مثل (كهلن) (كهلان) و (وعلن) (وعلان) و (سعد الله) و (مرت) (مرة) و (سكينت) (سكينه) و (حميد) و (حوشب) و (خلف) و (قين) و (جلهمة) و (تيم الله) و (عميرت) (عميرة) و (وهب) وأمثالها مما كان شائعاً معروفاً عند العرب قبل الإسلام[3] .

وذكرت في الكتابة (CIS 11, 354) مع اسم (الحارث) أسماء (شقيلت) (شقيلة) ملكة النبط و (مالك) و (عبادت) (عبادة) و (رب ال) (رب ايل). وقد دونت في السنة التاسعة والعشرين من حكم الملك ، وهي سنة عشرين بعد الميلاد ، وذلك عند صنع صنم يوضع في معبد (بطمون) . ويلاحظ ان معظم المقابر الكبيرة التي عثر عليها في (الحجر) هي من السنين الأخيرة من حكم (الحارث)[4] .

والى هذا الملك يرجع النص الموسوم بـ (REP. EPIG. 54) ويرجع تأريخه الى السنة الثالثة والأربعين من حكم (الحارث) ، وقد دعي فيه بـ (محب شعبه) (رحم عمه) (رحيم عمه) كما ذكر فيه اسم زوجته (شقيلة)[5] . وكذلك

---

١ CIS II, I, II, P. 226.

٢ CIS II, 199, Huber 30, Euting 4, CIS II, I, 11, P. 227.

٣ CIS II, I, II, P. 229.

٤ CIS II, 354, Euting 47, Cooke, North-Semitic Inscriptions, PP. 244, Provincia Arabia, I, S., 283.

٥ REP. EPIG., I, II, P. 44.

النص الموسوم بـ (REP. EPIG. 1103) المكتوب في سنة (٤٠) من حكم (الحارث) ، أي سنة (٣١) للميلاد ، وهو من النصوص التي عثر عليها في (مدائن صالح)[١] .

وأرخ بحكم هذا الملك النص (REP. EPIG. 674) ، وهو شاهد قبر من مدينة (مأدبا) يرجع تأريخه الى سنة (٣٧) بعد الميلاد[٢] .

و (الحارث) (Aretas) الذي أمد القائد الروماني (واروس) (فاروس) (Varus) بقوة من المشاة والفرسان حين زحف على (يهوذا) ، هو (الحارث) الرابع الذي نتحدث عنه ، فعل ذلك كما يقول (يوسفوس) انتقاماً من (هيرودس) وتقرباً الى الرومان . وبعد أن استولى (فاروس) على مدن عدة وهو ذاهب الى القدس ، منها مدينة (عكا) (Ptolemais)[٣] (Acco) ، اتجه نحو (الجليل) (Galilée) ثم السامرة فالقدس . أما القوات العربية ، فقد سارت الى مدينة (Arus) فأحرقتها ثم سارت الى مدينة (Sampho) وهي مدينة محصنة جداً فاستولت عليها وأحرقتها ، واستولت على أماكن أخرى . حدث ذلك حوالي سنة (٤) قبل الميلاد[٤] .

واصطدم النبط باليهود في أيام القيصر (طيباريوس)[٥] و (هيرودس) ملك (يهوذا) المعروف بـ (هيرود انتيباس) (Herodes Antipas)[٦] ، وذلك في سنة (٣٦) بعد الميلاد[٧] ، بسبب زواج (هيرودس) من زوج أخيه على زوجه الأولى ، وهي ابنة (الحارث) (حرثت) . وبسبب اختلافهما على حدود منطقة (Gamalites) ، فجرت حروب بين الطرفين انتهت بانتصار (الحارث) على خصمه انتصاراً كبيراً في (جلعاد) (Gilead) وبتشتيت شمل جيوشه ، فاستنجد (هيرودس) بسيده وحاميه القيصر (طيباريوس) ، فغضب القيصر وكتب الى

---

١ REP. EPIG., II, III, P. 377.
٢ REP. EPIG., II, I, P. 101, CIS, II, 196.
٣ Josephus, Antiq., Vol., 3, P. 253, (Bohn's Standard) Library), XVII, X, 9.
٤ Dubnow, II, S., 302.
٥ (طيباريوس بن اغوسطوس) ، الطبري (١/٧٤١ ، ٧٤٤) ، (طبعة ليدن) .
٦ Dubnow, II, S., 381, Josephus, 3, P. 283.
٧ Dubnow, II, S., 384, The Bible Dictionary, I, P 107.

عامله على سورية (فيتليوس) (Vitellius) ان يسير فوراً بجيشه لمحاربة (الحارث) والقبض عليه حياً وارساله مكبلاً بالسلاسل الى (رومة) أو ارسال رأسه اليه إن قتل[1] . وبينما كان العامل يهم بالزحف على مملكة النبط وتنفيذ أمر القيصر ، جاءته الأخبار بوفاة (طيباريوس) سنة (٣٧) بعد الميلاد فتوقف عن الحرب ، وقرر الرجوع الى مكانه . وساء موقف (هيرودس) ثم نحّاه الرومان عن عرشه ونفوه الى (اسبانية) ، حيث مات هناك[2] .

ويظهر من رسالة (بولس) الرسول الثانية الى أهل (كورنتوس) ان (دمشق) كانت في أيدي ملك اسمه (الحارث) ، وانه همّ بالقبض عليه ، غير انه هرب ونجا منه . قال : « في دمشق والى الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكن ، فتدليت من طاقة في زنبيل من السور ونجوت من يديه »[3] . ونرى (بولس الرسول) أيضاً في رسالته الى أهل (غلاطية) وفي حديثه عن نفسه وعن كيفية اهتدائه الى ديانة المسيح ، يقول : « ولا صعدت الى اورشليم الى الرسل الذين قبلي ، بل انطلقت الى العربية ، ثم رجعت أيضاً الى دمشق . ثم بعد ثلاث سنين صعدت الى اورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً »[4] . فهو يذكر هنا العربية وبعدها دمشق . فهل أراد بالعربية البادية ؟ أو أراد بها عربية النبط ، وانه من عربية النبط أو البادية عاد الى دمشق ؟.

والرأي الراجح بين علماء العهد الجديد ، هو أن (الحارث) الذي قصده (بولس الرسول) هو هذا (الحارث) ، أي (الحارث) الرابع ، وأما الوقت الذي استولى فيه (الحارث) على دمشق ، فقد كان في حوالي سنة (٣٧) بعد الميلاد ، وذلك على أثر الحرب التي شنها على (هيرود انتيباس) ، وتدخل

---

١ انجيل مرقس ، الاصحاح السادس ، الاية ١٧ وما بعدها تاريخ يوسيفوس (ص ٢١٣) ، Josephus, Antiq., XVIII, V, I, 4.

٢ Josephus, Antiq., XVIII, V, I, Dubnow, II, S., 384.
Josephus, Antiq., V, 3.
تاريخ يوسيفوس ص (٢١٤ وما بعدها) .

٣ رسالة بولس الرسول الثانية الى اهل كورنتوس ، الاصحاح الحادي عشر ، الاية ٣٢ وما بعدها .

٤ رسالة بولس الرسول الى اهل غلاطية ، الاصحاح الاول ، الاية ١٧ وما بعدها ، N. Gluck, Deities and Dolphins, P. 542, The Story of the Nabataeans, New York, 1965.

(طيباريوس) في الموضوع[1] . ويظهر أن تدخل الرومان هذا أثار غضب (الحارث) عليهم ، فسار بعد انتصاره على (يهوذا) الى (دمشق) فاستولى عليها وأعادها بذلك مدة لا نعلم طولها الى مملكة النبط . ويتخذ هؤلاء من وجود فجوة في النقود الرومانية الدمشقية ، تبدأ بسنة (٣٤) بعد الميلاد وتنتهي بسنة (٦٢ – ٦٣) بعد الميلاد دليلاً على صحة نظريتهم في أن المدينة تحررت في خلال هذه الفجوة من حكم الرومان ودخلت في حكم النبط ، ولهذا السبب حدثت هذه الفترة في ضرب النقود الرومانية في الشام[2] .

وفي أيام هذا الملك دُوّنت الكتابة المعروفة بـ (REP. EPIG. 1108) ، وهي من الكتابات المدوّنة في (الحجر) (Hegra) ، أي (مدائن صالح) ، دوّنت في السنة (٣٨) للميلاد.وفي جملة الأسماء المذكورة في هذا النص اسم (عبدعدنون) أي (عبد عدنان)[3] .

وقد عثر على كتابة قبرية مؤرخة بالتقويم السلوقي من سنة (٤ – ٥) قبل الميلاد ، وهي أيام حكم (الحارث) الرابع ، صاحبها رجل اسمه (قصي بن تعجلة) ، ولم يشر في الكتابة الى حكم ملك النبط الذي في أيامه دونت هذه الكتابة . ويرى (ليمان) أن الذي حمل (قصيّ) على إغفال الاشارة الى اسم الملك هو أن القيصر (أغسطس) كان قد فوّض أمر (Trachonitis) و (Batanaea) (Auranitis) في عام (٢٣) قبل الميلاد الى ملك (يهوذا) (هيرودس) (Herodes) ، وقد كان صاحب الكتابة من سكان هذه الأرضين، فلم يؤرخ بسني حكم ملك النبط الذي في أيامه أنشأ ذلك القبر[4] .

لقد كان الحارث الرابع من المتأثرين بالثقافة الهيللينية وبالحياة الهيللينية . ويظهر هذا الأثر في المباني العامة التي أقيمت في أيامه[5] وفي الكتابات اليونانية من عهده . ولا يستبعد أن يكون قد أتقن اللغة اليونانية وأخذ يتكلم بها مع اللسان الإرمي والنبطي ، إذ كانت تلك اللغة هي لغة القوة والثقافة في تلك الأيام .

---

١ Hastings, P. 48, Ency. Bibli., PP. 206.
٢ Hastings, P. 48.
٣ REP. EPIG., II, III, P. 381.
٤ Ephemeris, II, S., 259.
٥ N. Glueck, Rivers, P. 195.

وحكم بعد (الحارث الرابع) ابنه الملك (ملكو) (مالك) المعروف بالثاني، وذلك من سنة (٤٠) حتى سنة (٧١) أو (٧٥) بعد الميلاد[١] . ويظهر أن النص المعروف بـ (CIS 11, 195) لصاحبه (عبد ملكو بن عبيشو) ، أي (عبد الملك ابن عبيش) والمؤرخ بالسنة الأولى من حكم (ملكو) (مالك)، قصد بـ (ملكو) (مالك الثاني) هذا[٢] ، ويرجع تأريخه الى سنة (٤١) بعد الميلاد . أمـا ناشر النص في (CIS 11) ، فقد ذهب الى أنه (مالك الثالث) ، وانـه كتب في حوالي سنة (٣٩) بعد الميلاد . ومعنى هذا ان (مالك الثالث) حكم في سنة(٣٨) بعد الميلاد ، وهو وهم . وقد عثر على هذا النص في موضع (أم الرصاص)[٣].

وفي السنة الأولى من حـكم (ملكو) (مالك) دوّنت الكتابة الموسومـة بـ (CIS 11, 218)[٤] . وقد ذكر ناشرها ان (ملكو) المقصود هـو (ملكو) الثالث ، وأن تأريخها يرجع الى سنة (٣٩) بعد الميلاد[٥] ، وهو وهم . وأما النص (CIS 11, 182)[٦] ، فقد أرخ كذلك بأيام (ملكو) ، أرخ بشهر (اب) (آب) من السنة السابعة عشرة من حكم (ملكو ملك نبطو برحرثت)[٧] ، أي من حكم الملك (مالك النبط بن حارثة) . ويصادف هذا التأريخ عام (٥٧) بعد الميلاد . أما ناشر النص ، فقد جعله أيضاً (ملكو) (مالك) ، وجعل تأريخ التدوين في حوالي سنة (٥٠) بعد الميلاد[٨] . وهو يناقض ما ذهب اليه كثير من الباحثين من أن حكم الملك (مالك الثاني) كان من سنة (٤٠) حتى سنة (٧١) بعد الميلاد. ثم إن ما ذهب اليه ناشر النص من أن تأريخه يوافق سنة (٥٠) بعد الميلاد ، هو وهم أيضاً ، اذ يجب أن يكون سنة (٥٧) للميلاد ، لأن ابتداء حكم هذا الملك

---

١ Ency., Vol., III, P. 801, Ency., Relig., Vol., 9, P. 121, Hill, P. XIX, Littmann, in Princeton University Archaelogical Expedition to Syria in 1904-1905, Div., IV, Sect., A, P. 21, W. Glueck, Delties, P. 542.

٢ CIS II, 195, CIS, II, I, Il, P. 217.

٣ CIS, II, I, II, P. 218.

٤ CIS, II, 218, Euting 21, Doughty, I.

٥ CIS, II, I, II, P. 256.

٦ CIS, II, 182, Vogue, N. 6.

٧ CIS, II, I, II, PP. 206.

٨ CIS, II, I, II, P. 207.

كان سنة (٤٠) . ولما كان النص قد أرخ بالسنة السابعة عشرة من حكمه تكون السنة إذن سنة (٥٧) للميلاد .

لقد انتزعت (دمشق) من حكم (مالك الثاني) ، في زمن لا نعرفه ، الا أن الأرضين في شرقها وفي جنوب شرقيها بقيت جزءاً من مملكة النبط[١] .

وانتقل الحكم الى (رب ال) (رب ايل) (ربئيل) الثاني المعروف بـ (سوتر) (سوطر) (Soter) بعد وفاة (ملكو) (مالك) الثاني . وقد حكم من حوالي سنة (٧٠) حتى سنة (١٠٦) بعد الميلاد على رأي،ومن سنة (٧٥) حتى سنة (١٠١) على رأي آخر ، أو شيئاً آخر قريباً من ذلك أو بعيداً بعداً قليلاً ، بحسب تعدد أنظار الباحثين[٢] ، لعدم وجود تقاويم ثابتة لدينا أو كتابات تنص على تواريخ حكم كل ملك من هؤلاء الملوك .

والى عهد هذا الملك تعود الكتابة المعروفة بـ (CIS 11, 183) المؤرخة في السنة الخامسة والعشرين من سني حكم (رب ال) (رب ايل) . وصاحبها رجل اسمه (قصي بن ادينت) ، أي (قصي بن أذينة)[٣] . وتكون سنة تدوين هذه الكتابة اذن في سنة (٩٥) أو (١٠٠) بعد الميلاد . أما الكتابة (CIS 11, 161) ، فتعود الى أيامه كذلك ، وقد دونت في شهر (أيار) من السنة الرابعة والعشرين من حكم (رب ايل) ، وقد دوّن مع التأريخ النبطي ما يقابله بالتقويم المستعمل عند الرومان آنئذ وهو سنة (٤٠٥)[٤] .

والتقويم الروماني هو تقويم السلوقيين . وتقابل هذه السنة سنة (٩٤) للميلاد ويكون مبدأ حكم (رب ايل) اذن في سنة (٣٨١) من التقويم السلوقي ، أي سنة (٧٠) بعد الميلاد . ووردت في هذه الكتابة بعض الأسماء ، مثل : (هنى) (هانيء) و (جدلت) (جدلة) و (بجرت) (بجرة) (بجيرة) و (ادرم) و (عبد الملك) ، وهي من الأسماء المعروفة أيضاً عند عرب الحجاز ونجد[٥] .

---

١ Delties, P. 542.

٢ Ency., III, P. 801, Ency. Religi., Vol., 9, P. 121.

٣ CIS II, I, II, PP. 208, Levy, In ZDMG., 1868, I, XXII, S., 262, Vogue, Syrie Centr., Inscr. Semit., P. 112.

٤ CIS II, I, II, P. 191, CIS 11, 161.

٥ CIS II, I, II, P. 192.

والى عهد الملك (رب ايل) الثاني تعود كذلك الكتابة التي دوّنها (منعت بن جديو) (منعة بن جديّ) (ببصرابشنت ٢٣ لرب ايل ملكا ملك نبطو)، أي بمدينة (بصرى) ، وذلك في السنة الثالثة والعشرين لحكم (رب ايل) ملك النبط . وقد دونت هذه الكتابة بمناسبة تقرب صاحبها الى الإلـه (دوشرى واعرى) بتقديمه مذبحاً الى معبده في مدينة (بصرى)[١] . ويكون تأريخ تدوين هذه الكتابة سنة (٩٣) للميلاد . وكذلك الكتابة القبرية المؤرخة بالسنة الثالثة والعشرين من حكم (رب ايل) ، أي في سنة (٩٣) للميلاد[٢] . ولدينا كتابة أخرى سجلت في أيام هذا الملك صاحبها رجل اسمه (عذرو برجشمو) ، أي (عاذر بن جشم) (عذره بن جشم) (عذيز بن جشم) (عذر بن جشم)، ورد فيها اسم الإلـه (شيع القوم) دوّنها في السنة السادسة والعشرين من حكم الملك ، أي في حوالي سنة (٩٦) بعد الميلاد[٣] .

وترينا الكتابة الموسومة بـ (REP. EPIG. 1434) أن للملك شقيقتين هما : (جميلت) أي (جميلة) و (هجرو) أي (هاجر)،وقد نعتتا فيها بـ (ملكتي النبط) . ويظهر ان هنالك شقيقة ثالثة اسمها (فصائل) ، وربما كانت له شقيقة رابعة سقط اسمها من النص[٤] .

وقد ذكرت (شقيلت) (شقيلة) أم الملك (رب ايل) الثاني مع ابنها في نقد ، وذلك في أثناء عهد وصايتها عليه حين انتقل العرش اليه ، وكان على ما يظهر صغيراً . وكان للملك شقيق ساعدها في تحمل أعباء الحكم اسمه (انيشو) (Oneishu) لعله (أنيس) . ولما تزوّج (رب ايل) من زوجه (جميلت) (جميلة) (Gamilath) أمر بضرب اسمها مع اسمه على النقود[٥] .

وقد ذكر بعض الباحثين ان بعض ملوك النبط ولا سيما المتأخرين منهم ، أقاموا في أكثر أوقاتهم في (بصرى) (Bostra) ، مما أدى الى اضعاف شأن

---

١ Mark Lidzbarski, Ephemeris Semitische Epigraphik, S., 330, (Giessen 1902), Clermont-Ganneau, Recueil, P. 170, Rep. Epig. 83.

٢ REP. EPIG. 83, I, II, P. 67.

٣ Ephemeris, II, I, S., 252, REP. EPIG. 468.
Ephemeris, S., 332, Receuil, P. 173, REP. EPIG. 886.

٤ REP. EPIG., III, I, P. 141.

٥ Hill, P. XX, 12-13, PL., II, 18-23.

عاصمتهم القديمة (بترا) والى اضعاف ادارة أمور النبط[1] .

وآخر ملك نعرفه من ملوك النبط ، هو الملك (ملكو) (مالك) الثالث ، الذي حكم من سنة (١٠١) حتى سنة (١٠٦) بعد الميلاد على بعض الآراء . وفي أيامه قضى (تراجان) في سنة (١٠٦) بعد الميلاد على استقلال هذه المملكة وجعلها تحت حكم حاكم (سورية) (كورنليوس بالما) (Cornelius Palma) (٩٨ — ١١٧ م) ، وأطلق عليها اسم (الكورة العربية) (Provincia Arabia)[2] . وقد نقل مقر الحكم من (بترا) الى (بصرى) ، فتضاءل بذلك شأن العاصمة القديمة فلما كان القرن الثالث للميلاد ، صارت (بترا) مجرد موضع قليل الشأن[3] .

لقد قضى الرومان على استقلال النبط في العربية الحجرية ، فأضافوا بلادهم الى جملة الأرضين التي استولوا عليها . وخسر النبط ملكهم ودولتهم ، ثم خسروا أرضهم فيما بعد . واضطرهم ضغط القبائل العربية الأخرى عليها الى الرحيل الى أماكن أخرى ، والهجرة الى مواطن جديدة طلباً للرزق . كما هاجر من قبلهم سكان الأرضين التي استولى النبط عليها في أيام عزهم وملكهم واندمج أكثرهم في القبائل الجديدة الفتية التي سادت على أرض النبط ، وتسموا باسمهم وانتسبوا اليهم حتى نسوا أصلهم القديم فزال النبط بزوال دولتهم ، وبقي اسمهم ، وبعض رسومهم التي يعود الفضل في إحيائها الى المستشرقين .

وقد بقي النبط يمارسون التجارة وقيادة القوافل حتى بعد فتح الرومان لبلادهم كما يتبين من بعض الكتابات النبطية المؤرخة التي عثر عليها في (طور سيناء) وفي مصر . ومنها كتابة مؤرخة بسنة (١٦٠) من تقويم (بصرى) المقابلة لسنة (٢٦٦) بعد الميلاد . وقد تبين ان أكثر الكتابات التي عثر عليها في الأماكن المذكورة وفي أماكن أخرى هي كتابات وجدها العلماء والباحثون والسياح على الطرق القديمة الموصلة الى جزيرة العرب أو البحر الأحمر ، وفي وجودها في هذه الأماكن دلالة على أن أصحابها كانوا أصحاب تجارة يتجرون بين مصر وجزيرة العرب

---

١ Delties, P. 543.

٢ Die Araber, I, S., 304, Groag Stein, Prosopographia, 2, 346, NR ; 1412, 1936, Schrader, KLT, S., 153.

٣ N. Glueck, The Story of the Nabataeans, P. 543.

وموانىء ساحل البحر الأحمر ولا سيما ساحل النبط المقابل لبر مصر[1] .

ويظن جماعة من المستشرقين ان عرب (الحويطات) الساكنين في منطقة (حسمى) في الأقسام الشمالية من الحجاز ، في المنطقة التي كانت تسكنها (جذام) ، هم من بقايا النبط[2] .

وتنسب (الحويطات) الى جدّ أعلى لهم اسمه (حويط) ، وهو على زعمهم من أهل مصر ، جاء بيت الله الحرام حاجاً فمات في (العقبة) ودفن في (حسمى). وهم عشائر يتراوح عـــددها من عشر عشائر الى اثنتي عشرة عشيرة تسكن في طور سيناء وفلسطين والحجاز[3] ، وتجـاور قبيلتي (بلى) و (جهينة)[4] . وهم في الجملة ميالون الى الحرب والغزو ، ولذلك كانوا يغزون العشائر المجاورة لهم ، ويأخذون الأتاوة من القرى والمدن الواقعة في مناطق نفوذهم في أيام العثمانيين[5] .

وتتألف (الحويطات) من ثلاثة بطون هي : (حويطات التهمة) و (حويطات العلويون) (العلاوين) ويعرفون أيضاً بـ (حويطات ابن جـاد) (حويطات ابن جازى)[6] . وتتـــألف (حويطات التهمة) (حويطات التهم) التي تقـــع منازلها على ساحل البحر الأحمر حتى (الوجه) في الجنوب ، من عشائر عـديدة هي : (العمران)[7] و (العميرات) و (المساعيد) والذبابين والزماهرة والطقيقات والسليمانيين والجرافين والعبيّات والمواسة والمشاهير والفرعـان والجواهرة والقبيضات والفحامين . وأما (حويطات العلويون)،فتتألف من: (الصوياحين) و (المقابلة)

---

١ Winkler, Rock Drawing of South Upper Egypt, (1938), L.A. Tregena and Dr. John Walker, Bulletin of the Faculty of Arts, Fouad University, Vol., XI, Part II, December, 1949, Enno Littmann, Nabataean Inscriptions from Egypt, in Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, 1953, PP. 1.

٢ Ency., Vol., I, P. 368, III, P. 802.

٣ Ency., II, P. 349, Burkhardt, Notes on the Bedouins and Wahabys, London, 1831, P. 29, Doughty, Travels in Arabia Deserta, I, 16, 29, 45, 46, 137, 233, 390, II, 24, 323.

٤ Ency., II, P. 349, Musil, Arabia Petraea, III, P. 48.

٥ Euting, Tabuch einer Reise in Inner-Arabien, II, S. 103, Ency., 11, P. 349.

٦ قلب جزيرة العرب (ص ١٤٤) ، Musil, Hegaz, P. 6, Petraea, BD., BD. 3, S., 48, 51.

٧ (حويطات التهم) قلب جزيرة العرب (ص ٧٢ ، ١٣١ ، ٤٢٥) ، (حويطات التهامة) ، (عمران) . Ency., II, P. 349.

و (المحاميد) و (الخضيرات) و (السلامين) و (العزاجين) و (القدمان) و (العواجة) و (السلامات) . ومن (حويطات ابن جازى) (المطالقة) و (الدراوشة) و (العامرة) و (المرايع) و (الدمانيـــة) و (العطون) و (التوايهة)[1] .

لقد عثر على كتابات مدوّنة بالنبطية وعلى كتابات مدونة بثلاث لغـات هي النبطية والإرمية واليونانية ، بعضها من بعد ضم مملكة النبط الى (الكورة العربية)، أي بعد سقوطها في أيدي الرومان ، وقد تبين منها أن النبط بقوا أمـداً يكتبون ويدوّنون بلغتهم ، وان كانوا يستعملون معها اليونانية أو الإرمية أو كلتا اللغتين في بعض الأحيان ، كما تبين أن اليهود دوّنوا بالنبطية أيضاً ، أولئك اليهود الذين كانوا على اتصال بالنبط ، وكانت لهم صلات تجارية بهم . وقـد دونوا بهـذه اللغة حتى بعد سقوط دولة النبط . وقد وصلت كتابات أصحابها يهود فيها عقود بيع وشراء مع النبط ، كما وصلت كتابات نجد فيها خلاصات من عقود ومكاتبات دوّنت باليونانية أو بالإرمية ، على حين دوّنت الخلاصات بالنبطية وبالعكس[2] .

ولا نعرف شيئاً يذكر عن أصول تنظيم الدولة وكيفيتها عنـد النبط . والملك بالطبع هو رئيس الدولة والشخص الوحيد الأعلى للحكومـة . وهو الذي يختار من يوكل اليهم ادارة الأعمال وتسيير أمور الرعية . وللملك حاشية القربة عنده، وُكل اليها النظر في المسائل العليا للدولة وتقديم الاستشارة الى الملك ، ويقال للواحد منها (اخ ملكا) ، أي (أخو الملك) . ويظهر انها كانت طبقة خاصة من الطبقات الأرستقراطية انحصرت فيها هذه الوظائف انحصار الملكية في الأسر المالكة[3] .

ومما يلاحظ عـلى النبط ان ملوكهم كانوا ينعتون أنفسهم بنعوت لا نجدها في الكتابات العربية الأخرى ، فجملة : (ملك رحم عمه) ، أي (الملك الرحيم بشعبه) ، أو (الملك المحب لشعبه) لا نجدها مثيـلاً في الكتابات الأخرى من كتابات ما قبل الاسلام . لكنهم لم يتركوا الجمـل التي تنعتهم أيضاً بـ (ملوك

---

١ وأسماء أخرى ، راجع : قلب جزيرة العرب (ص ١٤٤) ،
Ency., II, P. 349, Musil, Petraea, III, 48, 51, 407.

٢ Deities, P. 8.

٣ REP. EPIG. 675, 1100, M. Lidzbarski, In Ephemeris, 3, (1909-1915), 89, 297, Die Araber, I, S., 287.

النبط) ، اذ نجدهم يكتبون بعد اسمهم : (ملك ملك نبطو) ، أي (الملك : ملك النبط) .

ويلاحظ انه قد كان للمرأة منزلة رفيعة عند النبط ، بدليل ما نجده في كتاباتهم وفي نقودهم من ذكر اسم الملكات مع الملوك . فقد كان من عادتهم ورسومهم ذكر الملكات مع الملوك رسمياً ، فقد ورد مثلاً : (شقيلت أخته ، ملكت نبطو) . أي (شقيلة أخته ، ملكة النبط) . وورد : (شقيلت امه ، ملكت نبطو) ، أي : (شقيلة أمه : ملكة النبط) ، وهكذا . ونجد النقود النبطية وقد أشارت الى اسم الملك الذي أمر بضرب ذلك النقد ، كما نجد اسم زوجته أو أمه معه . وقد ضربت صورة رأس الملك ورأس الملكة معه في النقود المضروبة باليونانية [1] .

وبالرغم من ظفر العلماء بنقود نبطية ويونانية ، لم يتمكنوا حتى الآن من الاتفاق على تثبيت أسماء ملوك النبط تثبيتاً زمنياً ، ولم يتمكنوا أيضاً من تعيين مدة حكم كل واحد منهم تعيينـاً مضبوطاً قاطعاً ، فما سنذكره عنهم لا يعني إذن انه شيء ثابت وأكيد [2] .

وقد تأثر النبط بالثقافة اليونانية تأثراً كبيراً . ويظهر هذا الأثر في نقودهم ، إذ قلدوا في ضربها النقود اليونانية ، بل ضربوها بكتابة يونانية في الغالب . وقد نعت (عبادة) الثالث نفسه بـ (الها) في نقد ضربه باسمه ، محاكاة للسلوقيين الذين لقبوا أنفسهم بـ (ديوس) (Deos) ، أي (الإلـه) . كما يظهر هذا الأثر في ادارة الدولة وفي الحجارة المكتوبة ، إذ نجد أصحابها يكتبون بالنبطية وباليونانية ، بل نجد هذا الأثر على شواهد القبور وغير ذلك [3] . ولعلهم كانوا قد أخذوا من مناهل العلم اليوناني ، وتعلموا العلوم الشائعة في ذلك العهد من اليونان الذين سكنوا بين النبط ، ومن بلاد الشأم حيث كانوا على اتصال دائم بها ، وفي بلاد الشأم جاليات قوية من الرومان واليونان . ولهذا ظهر أثر اللاتينية واليونانية في الأنباط [4] .

---

١ Deitles, P. 11.

٢ J. Cantineau, Le Nabatéen, I. 6, R. Dussaud, Pénétration, 51, Die Araber, I, S., 289.

٣ Le Nabatéen, 2, (1932), P. 5, 6, 152, Die Araber, I, S., 288.

٤ N. Glueck, Rivers, P. 194.

ويظهر أن النبط كانوا مولعين بالشراب وبالخمور ، ونجد لصور الكروم مكانة بارزة في فن النحت والنقش عندهم . وقد أظهروا براعة فائقة في حفر صور الكروم وعناقيدها على الألواح ، كما يظهر ذلك من آثارهم التي درسها الباحثون في النبطيات[1] .

مدن النبط :

و (بترا) (البتراء) (بطرا) (Petra) ، هي عاصمة النبط القديمة . ومعنى (Petra) (بطرا) في العربية (الصخر) . أما اسمها القديم فـ(هـ ـ سلع) (هـا ـ سلع) ، (Sela) = (Selah) ، ويعني أيضاً (الصخر) لغة الأدوميين . وهي على خمسين ميلاً تقريباً الى الجنوب من البحر الميت . ولما افتتحها (أمصيا) (٨٣٧ ـ ٨٠٩ ق. م.) ،سمّاها (يقتئيل) أي (الخاضع لله)[2]. وكانت عاصمة (أدوم) . وكانت من أشهر المدن في العالم القديم ، ثم صارت لمؤاب[3] . وقد ذكرها (ياقوت الحموي) في مادة (سلع) ، فقال : « وسلع أيضاً حصن بوادي موسى عليه السلام بقرب بيت المقدس »[4] . وتقع آثار المدينة وبقاياها اليوم في وادي موسى ، ويسمى أيضاً (وادي السيق)[5]. وقد عرف هذا الوادي بوادي موسى ، لما زعم ان موسى ضرب الصخر بعصاه فشقه فجرى الماء من موضع العين الى النهر ، فسميت لذلك بعين موسى . وكان السيق مبلطاً، ولا تزال آثار التبليط باقية في بعض المواضع . وتجاه نهاية السيق هيكل منحوت في الصخر ، يسمى : (خزنة فرعون) ، وداخل باب الهيكل دار ، وعلى بعد (٦٠٠) قدم تقريباً من هذا الهيكل بقايا آثار مسرح عظيم منحوت في الصخر يتسع لزهاء أربعة آلاف انسان .

---

١ Deitles, P. 4.

٢ قاموس الكتاب المقدس ، (١/٥٢٨) ،
Die Araber, I, S., 283, Kennedy, PP. 78, Hasting, P. 835.

٣ قاموس الكتاب المقدس ، (١/٥٢٨) ،

٤ البلدان (٥/١٠٧) Ency. Bibli., P. 4344, Nöldeke, IN ZDMG., 55, S., 259

٥ قاموس الكتاب المقدس (١/٥٢٩ وما بعدها) ، (باب السيق) .
Provincia, I, S., 195, 215.

ومن آثارها المهمة ، الأثر المعروف باسم (خزنة فرعون)[1] ، وقوس النصر وهياكل وقبور عدة ، بعضها على الطراز النبطي القديم ، وبعضها متأثرة بالفن المصري الآشوري أو اليوناني أو الروماني[2] .

وتشاهد في (بطرا) كتابات كثيرة ، منهـا ما هو مؤرخ يعود بعضها الى ما قبل الميلاد ، أكثرها كتابات نبطية من نوع الكتابات التي توضع على القبور، وبعضها لاتينية وأخرى يونانية . ووجدت كتابة باليونانية دوّنها أسقف سكن معبداً من معابد المدينة القديمة التي تعود الى ما قبل الميلاد في حوالي سنة (٤٤٧) للميلاد. كما وجدت كتابة لاتينية على قبر بني على النمط (الروماني) صاحبهـا ضابط روماني اسمه (سكستيوس فلورنتينوس) (Sextius Florentinus) لا يعلم زمانه على وجه الصحة ، ويرى بعضهم انه من أيام (هدريانوس) (Hadrianus) أو (أنطونيوس بيوس) (Antoninus Pius)[3] .

وقد منحت (بطرا) درجة (Colonia) رومانية في أيام حكم الرومان كما يظهر ذلك من بعض النقود الرومانية التي عثر عليهـا . ويرى بعض الباحثين أن ذلك كان في أيام حكم (Elagabalus) (٢١٨ — ٢٢٢) للميلاد[4] . ولكن هنالك من يعارض هذا الرأي من الباحثين في علم النميات[5] .

وقد وصف (سترابو) (بطرا) (بترا) بقوله : كانت (بطرا) عاصمة النبط ومقر حكمهم ودولتهم وهي لا تبعد الا أربعة أيام عن (أريحا)(Jericho) وخمسة أيام عن غابة النخيل (بوسيديون) (Poseidion) . وهـي موضع غني بالماء كثير البساتين بالنسبة الى من يأتي اليها من البوادي القاحلة الجرد . وقد زارها (أثينودور) (Athenodor) صديق (سترابو) ، فوصفها له ، وذكر له انه وجد بها أجانب ، بينهم جمع من الروم . ويظهر من أخبار (سترابو) أن النبط

---

١ راجع وصف (خزنة فرعون) في الجزء الـ (٢١) من السنة الثامنة من مجلـة المشرق الصادر في ١ تشرين الثاني من سنة (١٩٠٥) (ص ٩٦٥ وما بعدها) .

٢ قاموس الكتاب المقدس (١/٥٢٩ وما بعدها) .

٣ Kennedy, P. 76.

٤ Provincia, III, S., 291.

٥ Berytus, Vol., IX, Fasc., I, 1918, P. 40, « Petra, Colonia », By Stella Ben-Dor, De Saulcy, Numisme de La Terre Sainte, 1874, PP. 292, 353.

كانوا قد بنوا بيوتاً لهم في هذه المدينة كذلك . وقد أيدت التنقيبات التي أجريت عند مدخل المدينة هذا الرأي[1] .

الحجر :

أما (الحجر) ، فمدينة من مدن النبط القديمة المهمة ، تقع على شريان التجارة في العالم القديم ، وهي (Egra) = (Hegra) التي أشار اليها (سترابو) في أثناء حديثه عن حملة (أوليوس غـالوس) و (Haegra) = (Hagra) التي ذكرها (بلينيوس) على أنها مقر القبيلة المسماة (ليانيته) (Laenitae)[2] . وقد ذهب بعض الباحثين الى أنهـا (مدائن صالح)[3] ، وذهب بعض آخر الى أن (مدائن صالح) ، هي (العلا) لا (الحجر)[4] . وفرق بعض آخر بـين موضع مدائن صالح و (العلا)[5] .

وقد ذكر (بطلميوس) المدينة أيضاً ، وذكرها المؤرخ (اصطيفانوس البيزنطي) كذلك[6] . وقد كانت من مواضع النبط المهمة ، وقد عثر على خمس كتابات في (مدائن صالح) خرج بعض الباحثين من دراستهـا إلى أن (الحجر) هي من الأماكن التي أنشأها (المعينيون) . وقد كان اسمها القديم (حجرا) (هجرا) او (حجرو) (هجرو) و (الـ — حجر) في الكتابات[7] .

و (حجرو) و (الـ — حجرو) هي (الحجر) في العربية . وقد ذكر هذا الموضع في المؤلفات العربيـة . وذكر (ابن حبيب) أن قوم ثمـود نزلوا الحجر[8] . وذكر علماء اللغة أن (الحجر) ديار ثمود ناحية الشام عند وادي القرى،

---

١ Die Araber, I, S., 285, Strabo, 16, 779, A. Kramer, Petra et la Nabatène, 1929, P. 510.

٢ Musil, Hegaz, P. 291, 299.

٣ Arabien, S., 55, 59.

٤ Arabien, 4, 15.

٥ Arabien, S., 39, 40.

٦ Ptolemäus, VI, 7, 29, Stephanus Byzantius, I, 260, Arabien, S., 44.

٧ Jaussen-Savignac, I, 157, NR. 9, Arabien, S., 39.

٨ المحبر (ص ٣٨٤) .

وهم قوم صالح النبي،وقد جاء ذكر الموضع في القرآن : (وقد كذب أصحاب الحجر المرسلين)[1] ، كما جاء ذكره في كتب الحديث[2] . وقد تضاءل شأنها في الإسلام ، حتى صارت قرية صغيرة في القرن العاشر للميلاد ، ثم تركها أهلها ، وتقع خرائبها اليوم بين (جبل اثلث) و (قصر البنت) وخط سكة حديد الحجاز ، حيث تشاهد آثار حصن قديم وبعض بقايا أبراج وآثار سور ، كما عثر على بقايا تيجان أعمدة قديمة وعلى مزولة شمسية ، وعلى نقود يرجع عهدها الى (الحارث الرابع) . ويظهر من أسس بعض الدور أنها بنيت بالحجارة . أما الجدران ، فقد بني أكثرها باللبن . وتقع خرائب (العلا) الى الجنوب من (الحجر)[3] .

وقد عثر الباحثون على قبور من بقايا قبور الحجر القديمة ، نقشت مداخلها وجدرانها بنقوش تدل على حذق ومهارة ، ولا سيما المقبرة التي هي من القرن الأول للميلاد ، ومن عهد الملك (الحارث الرابع) . وقد تألفت من غرف نحتت في الصخور ، ولبعضها دروب وطرق توصل بعضها ببعض . وهي قبور لأسر ، ومن هذه المقابر الموضع المعروف بـ (قصر البنت) ، وقد نحت في داخل تل ، ويعد من أغنى تلك المقابر من الناحية الفنية ، وله مدخل خارجي ، ارتفاعه عشرون متراً . وقد زين بالزخارف والنقوش[4] .

ويعدّ الموضع المعروف بـ (ديوان) من الآثار القيمة الباقية من (الحجر) . وقد عمل في (جبل اثلب) . وهو معبد يذكرنا بمعابد (بطرا) . وهو على قاعة ذات زوايا مربعة ، عرضها عشرة أمتار ، وعمقها اثنا عشر متراً،وارتفاعها ثمانية أمتار ، ولها مدخل عرضه ثمانية أمتار و (٣٥) سنتمتراً،وارتفاعه سبعة أمتار وزهاء خمسة سنتيمترات ، على كل جانب منه عمود من حجر ، جعلت زواياه مربعة . أما الباب ، فقد تلف . ويوصل الى هذا المدخل مدرج . وهناك معبد آخر صغير يقع على مسافة (١٥٠) متراً الى الجنوب من (جبل اثلب)[5] .

---

١ الحجر ، الرقم ١٥ ، الاية ٨٠ ، المفردات (١٠٧) ، تفسير القرطبي (١٠/٤٥ وما بعدها) .

٢ اللسان (٤/١٧٠) .

٣ Arabien, S., 44.

٤ Arabien, S., 60, Jaussen-Savignac, Mission, I, 316.

٥ Arabien, S., 66, Jaussen-Savignac, Mission, I, 118, 405, Doughty, I, 118, Musil, Arabia Petraea, (1907) 133, 146.

وقد وجدت في (القرية) بالحجاز وهي أطلال ، مدينة قديمة على خمسة وأربعين ميلاً الى الشمال الغربي من (تبوك) في أرض (حسمى) كتابات نبطية ويونانية ، كما عثر على معبد قريب منها في البادية دعاه (موسل) (غوافة) و (روافة) ، وجدت عليه كتابة نبطية يونانية طويلة ورد فيها اسم (مارقوس أورليوس انطونينوس) (Marcus Aurelius Antoninus) و (لوقيوس أورليوس فيروس) (Lucius Aurelius Verus)[1] . ويظهر ان هذه المدينة كان لها شأن في أيام النبط ، ولا سيما في أواخر أيام مملكتهم ، وان هذا المعبد كان قد ابتناه قوم ثمود في أوائل منتصف القرن الثاني للميلاد[2] .

الكورة العربية :

ضمت (العربية النبطية) سنة (١٠٥) أو (١٠٦) بعد الميلاد الى الأملاك الرومانية وكوّن منها ومن أرضين أخرى ضمت اليها مقاطعة جديدة عرفت باسم (الكورة العربية) (Provincia Arabia) (المقاطعة العربية) وجعلت تحت حكم حاكم بلاد الشأم المدعو (كورنليوس بالما) (A. Cornelius Palma)[3] . ولا يعلم على وجه التحقيق أعيّنَ الرومان والياً على هذه الكورة حال تكوينها ، أم انها جعلت تحت ادارة حاكم (سورية) المباشرة ثم عيّن لها حاكم خاص . والمعروف ان أول والٍ (Legat) عيّن عليها انما عيّن في سنة (١١١) بعد الميلاد[4] .

ولم تكن حدود (الكورة العربية) (المقاطعة العربية) ثابتة،بل كانت تتغير وتتبدل ، وتتقلص وتتوسع تبعاً لمراكز الحكام ومنازلهم . ففي سنة (١٩٥) بعد الميلاد مثلاً أضيف اليها بعض الأرضين الجنوبية من مقاطعة (سورية الفينيقية) (Syria Phonice) ، ولكن هذه الحدود تغيرت مراراً قبل هذا التاريخ وبعده . وتساعدنا (السكة الرومانية) التي أنشأها (تراجان) ثم وسعت فيما بعد مساعدة

---

١ Musil, Hegaz, P. 185, 258.

٢ Musil, Hegaz, P. 185, 258, The Geographical Journal, Vol., CXVII, Part, 4, 1951, PP. 448, « The Ruins of Quraiya », By H. ST. J. B. Phiby.

٣ Provincia, III, S., 250.

٤ Provincia, III, S., 250.

كبيرة في تعيين حدود ومساحة هذه المقاطعة . وقد أنشئت هذه السكة لأغراض عسكرية لتيسر للجيوش الرومانية الوصول بسرعة الى المواضع المهمة من الوجهة العربية ، ولتتمكن بواسطتها من السيطرة على الوطنيين وضبط الأمن[1] .

ويمكن الاستدلال من أنصاب الأميال ، التي وضعها الحاكم (قلوديوس سويروس) (قلوديوس سفيروس) (Claudius Severus) على هذه الطرق للوقوف بواسطتها على الأبعاد والمسافات والاتجاه ، على معرفة طريقين مهمين : أولهما طريق جديد انتهى منه في سنة (١١١) للميلاد ، يمتد من الحدود الشمالية للمقاطعة العربية أي من بلاد الشأم الى (بصرى) (Bostra) ثم الى (فيلادلفيا) (عمان) (Philadelphia) ، ومنها في اتجاه الجنوب ثم الغرب على طريق (بطرا) حتى البحر الأحمر . وثانيها الطريق الممتد من (فيلادلفيا) ماراً بـ (جرش) (Gerasa) وربما بـ (أذرح) (Adra) نحو (بصرى) (Bostra) . وقد كان هذا الطريق معروفاً قبل سنة (١٠٥) للميلاد ، غير انه أُصلح وعمِّر ، وربما حوِّل الى طريق عسكري في سنة (١١٢) للميلاد ، أي في أيام (تراجان)[2].

وقد عرفت أسماء أكثر الحكام الذين تولوا منصب حاكم المقاطعة العربية من رومان وبيزنطيين،وردت أسماؤهم مدونة على أنصاب الأميال وفي الكتابات الأخرى التي عثر عليها في مواضع متعددة من هذه المقاطعة . وأولهم (كورنليوس بالما) . وقد تبين أن الألقاب الرسمية التي كان يتلقب بها حكام هذه المقاطعة في القرن الثاني بعد الميلاد كانت من درجة الألقاب الرفيعة التي تمنح عادة لحكام مقاطعة (قيصرية) مثل لقب: (Legatus Augusti Pro Praetore) أو (Augustorum) تضاف اليه جملة : (Consul Designatus) متى يكون الحاكم في درجة (قنصل) (Consul) ، وذلك يكون عادة بالنسبة الى حكام المقاطعات من درجة (Legatus Pro Praetore) وقد يقتصر اللقب على كلمة (Consulares) إذا كان صاحبه قنصلاً . غير أن هذه الألقاب الرسمية لم تكن ثابتة ، بل كانت تتغير بحسب أهمية الحاكم ومنزلته ، والوظيفه التي يشغلها ، والزمان الذي حكم فيه[3] .

---

١ Provincia, III, S., 250, 264.
المشرق : السنة الثامنة ، العدد ١٠ ، ١٥ ايار ١٩٠٥ ، ص ٤٥٧ وما بعدها .

٢ Provincia, III, S., 264.

٣ Provincia, III, S., 281.

وتفيدنا وثائق المجامع الكنسية التي انعقدت في أوقات مختلفة لمعالجة المشكلات التي جابهت الكنيسة ، وحضرها ممثلون عن كنائس (الكورة العربية) فائدة كبيرة في تعيين أسماء مدن هذه الكورة وتأريخها . ومن هذه المجالس مجلس (نيقية) (Nicaea) الذي انعقد في سنة (٣٢٥) بعد الميلاد[١] ،ومجمع (انطاكية) (Antiochia) المعقود في سنة (٣٤١) بعد الميلاد[٢] ، ومجمع (Sardica) الملتئم عام (٣٤٧) للميلاد[٣] ،ومجمع (القسطنطينية) المنعقد عام (٣٨١) بعد الميلاد ، ومجمع (أفسوس) (Ephesus) المجتمع عام (٤٣١) ، ومجمع (خلقدونية) (Chalcedon) الذي انعقد في عام (٤٥١) ، للميلاد ، ومجمع (القسطنطينية) المنعقد سنة (٥٣٦) للميلاد ، ومجمع (القدس) الملتئم عام (٥٣٦) بعد الميلاد ، وغيرها من المجالس والمجامع الدينية[٤] .

وقد عثر على نقود ضربت في أيام الرومان والبيزنطيين في عدد من مدن (الكورة العربية)[٥] . مثل (Adra) (أذرعات) و(بصرى) (Charachmoba) و (ديوم) (Dium) و (Eboda) و (Esbu) و (جرش) (ومأدبا) (Medaba) و (Moca) و (بطرا) و (فيلادلفيا) (Philadelphia) و (فيليب بوليس) (Philippolis) و (Rabbathmoba)[٦] .

أما (Adra) ، فهي (أذرعات) المشهورة عند العرب في الجاهلية والإسلام[٧]. وتعرف في الزمن الحاضر بـ (درعة) و (درعا) كذلك ، وهي (أذرعى) (Edrei) في التوراة ، بمعنى قوة أو حصن[٨] . وهي من مدن (باشان)

---

١ Provincia, III, S., 253, Gelzer, Geographische Bemerkungen zu dem Verzeichnis der Väter von Nikaea, In der Festschrift für Heinrich Kaipert. Berlin, 1898, S., 47-61.

٢ Provincia, III, S., 253, Ency., I, P. 359.

٣ Provincia, III, S., 253.

٤ Provincia, III, S., 255.

٥ Hill, P. XXII, Journal of Roman Studies, Vol., VI, (1961).

٦ Hill, P. XXII — XXIV.

٧ البلدان (١/١٦٢ وما بعدها) ، البكري (١/٨٣) ، المقدس (ص ١٦٢) ، الاب ا٠ س٠ مرمرجي الدومنكي : بلدانية فلسطين العربية ، مطبعة (جان دارك) ، بيروت ، ١٩٤٨ م (ص ٤) ٠

٨ Ency. Bibl., PP. 118, Hastings, P. 203.

العظيمة[1] . وقد اشتهرت (أدرعات) بخمرها عند العرب ، وقال عنها علماء اللغة إنها موضع بالشأم تنسب اليه الخمور[2] .

و (أذرعات) موطن (عوج) (Og) ملك (باشان) ، وكان جبـــاراً قامة وبأساً[3] ، من سلالة الرفائيين ، حاول أن يمنع مرور بني اسرائيل بأرضه ، فاصطدم بهم بأذرعات ، وتغلبوا عليه ، فقتل هو وبنوه ، وانقسمت مدنه الستون المحصنة بين (الرأوبنيين) و (الجاديين) ونصف سبط (منى)[4] . وتقـــع (أذرعات) في وادٍ يكوّن القسم الجنوبي من وادي (حوران) وعلى مسافة ستة أميال الى الشرق من طريق الحج ، وفيها كهوف عديدة وصهاريج كبيرة ، وبها خرائب وآثار يقرب محيطها من ميلـــين يظهر أنهـــا من عهـــد الرومان[5] . ومن بقاياها (قناة فرعون) ، وهي تأخذ مياهها من بحيرة صغيرة قرب موضع (يابس) في حوران . ومسجد يشبـه بناؤه (كاتدرائيـــة) بصرى ، وآثار الشوارع والحوانيت التي كانت عليها ، وموضع سوق . وعـــثر في خرائبها على كتابات باليونانية كما عثر فيها على نقود ضربت فيها من سنة (٨٣) قبل الميلاد . وقد ألحقها (بومبيوس) (Pompeius) بمقاطعة سورية الرومانية، وألحقها (تراجان) بالمقاطعة العربية ، وذكر (أويسبيوس) (Eusebius) و (جيروم) انهـا من أشهر مدن (العربية) ، وكان بها أسقف حضر مع من حضر من الأساقفة في المجالس الكنسيـة التي انعقدت في (سلوقيـــة) (Seleucia) و (القسطنطينية) و (خلقدونية) (Chalcedon) (٤٥١م)[6] .

وفي المتحف البريطاني قطع من النقد المضروب في هذه المدينة ، وقد أشير في

---

١ قاموس الكتاب المقدس (١/٥٦) ، التثنية ، الاصحاح الاول ، الاية (٤) ، Ency. Bibli., PP. 1188, Hill, P. XXIII.

٢ اللســـان (٨/٩٧) .

٣ التثنية ، الاصحاح الثالث ، الاية ١١ ، يشوع ، الاصحاح الثالث عشر ، الاية ١٢

٤ العدد ، الاصحاح ٣٢ ، الاية ٢ وما بعدها ، تثنية ، الاصحاح الثالث ، الاية ٣ وما بعدها ، و ١٢ — ١٧ ، قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٤) .

٥ قاموس الكتاب المقدس (١/٥٦) و Ency. Bibli., P. 1189.

٦ Ency. Bibli., P. 1189, Wetzstein, Ausgewäste Griechische und Lateinische Inschriften, gesammelt auf Reisen in den Trachonen des Haurangebirges, Reiseberichte über Hauran und Trachonen, 47, on Mast., 118, 4, 213, 379, Hastings, P. 203.

بعضها الى (دو شرى) (ذي الشرى) إلـه النبط . كما صوّر على بعضها صور القياصرة الذين في أيامهم ضرب ذلك النقد[1] .

و (باشان) ، ومعناها (التربة الخفيفة) ، مقاطعة من أرض كنعان واقعة شرقي الأردن بين جبلي حرمون و (جلعاد) ، وسميت (باشان) من جبل في البلاد[2] . وسكانها القدماء هم (الرفائيون) (Rephalite) ، ولهم مملكة ذكر في التوراة من ملوكهم اسم الملك (عوج) الذي قتله الاسرائيليون ، وهو المعروف بـ (عوج بن عوق) عند أهل الأخبار ، والمعروف بـ (عوج بن عنق) عند العوام . وقد ذكر الأخباريون انه رجل (ذكر من عظم خلقه بشناعة) ، وانه كان ولد في منزل آدم فعاش الى زمن موسى ، وقد قتله موسى[3] . وقد أخذوا أخبارهم هذه عنه عن أهـل الكتاب ، أو من وقوفهم عـلى ما جاء في أسفار (التثنية) و (يشوع) و (العدد) عنه . وكان قد حاول منع الاسرائيليين من المرور بأرضه ، فقتلوه ، وجاء انه كان ينام على سرير من حديد طوله تسع أذرع وعرضه أربع أذرع[4]،وذلك لبيان ضخامة جسمه. ونجد في الأسفار المذكورة أخباره مع بني اسرائيل ومقاومته لهم[5] .

وكانت باشان تشمل حوران والجولان واللجاة ، وكلها مؤلفـة من صخور وأتربة بركانية ، وتربتها مخصبة ، ومياهها غزير ، ويحدها شمالاً أرض دمشق ، وشرقاً بادية الشأم ، وجنوباً أرض (جلعـاد) ، وغربـاً (غور الأردن) ، ويخترق جانبها الشرقي جبل الدروز ، وهو جبل (باشان) القديم . ويمر بالجولان سلسلة تلال من الشمال الى الجنوب . أما مقاطعة (اللجاة) ، فهي حقـل من (اللافا) أي الصخر البركاني ، سالت من (تل شيحان) ، وهو فم بركان

---

١. Hill, P. XXIII, Dussaud, Notes de Mythologie Syrienne, PP. 167, De Sauley, Terre Sainte, PP. 373.

٢ قاموس الكتاب المقدس (١/٢٠٦) ، المزامير ، ٦٨ ، الاية ١٥ .

٣ اللسان (٢/٣٣٥) ، (١٠/٢٨١) .

٤ التثنية ، الاصحاح الثالث ، الاية ١١ وما بعدها .

٥ التثنية ، الاية ١ وما بعدها ، والاصحاح ٣ ، الاية ١ ومـا بعدهـا ، ويشوع ، الاصحاح ١٣ ، الاية ١١ وما بعدها ، والعدد ، الاصحاح ٢١ ، الاية ٣٤ ، و ٣٢ ، الاية ٢ وما بعدها ، قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٤) .

قديم بقرب شحبة [1] .

ومن أشهر مدن (باشان) (الجولان) (Golan) ، وهي من منطقة(الجولان) (Gaulanitis) ، وتعني الكلمة (الدائرة) ، وأصلها مدينة (جولان) ، وبها سميت المقاطعة . وتقع في (باشان)[2] و (عشتاروت) (عشترت) (بعشترة) (Aschtaroth) = (Ashtoreth) = (Be-Eshterah) ،ويظهر انها (تل عشترة) (تل أشعرى) في الجولان[3] . ومدينة (عشتاروت قرنايم) (Asther Karnaim) وهي (قرنيون) (Carnion) أو (قرنين) (Carnain) التي استولى عليها (يهوذا المكابي) (Judas Maccabaeus) سنة (١٦٤) قبل الميلاد على ما يظن. وهي من مدن (الرفائيين) في (باشان)[4] . وقد اختلف الباحثون في مكانها في هذا اليوم ، فذهب بعضهم الى انها (الصنمان) وذهب بعض آخر الى انها (قنوات) وذهب آخرون الى انها (تل عشترة)[5] .

ويظهر أن كثيراً من (الباشانيين) كانوا يعيشون عيشة سكان المغاور والكهوف (Troglodytes) ، إذ تبين أن قسماً منهم سكن الكهوف والمغاور ، وسكن بعض منهم في أنفاق وكهوف تحت الأرض يبلغ طولها (١٥٠) قدماً ، وتتفرع منها أزقة تحت الأرض بجانبها بيوت تنفتح كواها في سقوفها ، فهي في الواقع مدن تحت الأرض . وفضل نفر آخر السكنى في بيوت منقورة في الصخر . وسكن بعض منهم في بيوت منفردة مبنية من الحجر[6] .

وأما (بصرى) وتعرف بـ (Bostra) ، فقصبة (حوران) ، ومن أشهر مدنها[7] . وقد عرفت في أيام الرومان بـ (Nova Trajana Bostra)[8] . وقد ألحقت بالمقاطعة العربية في مبدأ تأسيس هذه المقاطعة ، أي في أيام (تراجان)،

---

١ قاموس الكتاب المقدس (١/٢٠٦) .
٢ قاموس الكتاب المقدس (١/٣٤٥) ،
Hastings, P. 303, Schumacher, Across the Jordan, 92.
٣ قاموس الكتاب المقدس (٢/١٠٢) ، Hastings, P. 57.
٤ التكوين ، الاصحاح الرابع عشر ، الاية ٥ ، قاموس الكتاب المقدس (٢/١٠٢) .
٥ قاموس الكتاب المقدس (٢/١٠٢) ، Hastings, P. 57.
٦ قاموس الكتاب المقدس (١/٢٠٦) ، Ency. Bibl., P. 4976.
٧ البلدان (٢/٢٠٨) ، المشترك (طبعة وستنفلد) (٥٧) ، بلدانية فلسطين (ص ٢٣ وما بعدها) ، عيون الأخبار (٢/٣٣١) .
٨ Ency., I, P. 765, Hill, P. XXIV.

وصارت عاصمتهـــا وقصبتها العظمى بعـــد أيام (ديوقليتيان) (Diocletian) (٢٨٦ – ٣٣٧) بعـــد الميلاد[١] ، ومركزاً من مراكز النصرانية المهمة . وفي القرن السادس للميلاد كانت أسقفيـــة (Avara) ، وهي (الحميمة) على رأي (موسل) تراجع (بصرى)[٢] . ويظهر أنها لم تكن تابعة للغساسنة ، وإنما كانت في ادارة البيزنطيين . وقد تضررت مثل (أذرعات) في أثناء غزو الفرس لديار الشأم عام (٦٤) للميلاد ضرراً بالغاً ، وفقدت مكانتها المهمة من ذلك الحين[٣] .

وقد ورد اسم (بصرى) في السيرة في قصة (بحيرا) الراهب ، كما ورد اسمها في خـــبر فتوح الشأم . وكان أهلها من (قيس) من (بني مُرّة) . وذكر (أبو الفداء) انها من ديار (بني فزارة) و (بني مرة)[٤] . وقـــد اشتهرت بصنع السيوف المعروفة بـ (السيوف البُصْرية)[٥] .

وعثر على نقود ضربت في مدينة (بصرى) ، منها ما يعود تأريخها الى أيام (انطونيوس بيوس) (Antonius Pius) ، ومنها ما يعود الى أيام (هدريانوس) (Hadrianus) ، وهي النقود التي ضرب على أحد أوجهها النصف الأعلى لانسان يظهر أنه يرمز الى (العربية) (Arabia) حاملاً جسمين يشيران ، على رأي بعض الباحثين ، الى كورة (Auranitis) أي (حوران) و (العربية الحجرية) (Arabia Petraea) ومنها ما يعود الى آخرين ، وهم : (ديفـــا فاوسطينا) الأول (Diva Faustina) ، وقد صور النصف الأعلى من الجسم على أحد وجهي النقد، (ومارقوس أورليوس قيصر) (Marcus Aurelius Caesar) و(كومودوس قيصر) (Commodus Caesar) و(كومودوس أوغسطس) (Commodus Augustus) و (سبتيميوس سويروس) (Septimius Severus) و (يوليـــة دومنـــا) (Julia Domina) و (ايلاغبالوس) (Elagabalus)[٦] .

ودعيت (بصرى) في النقود التي ضربت باسم (سويروس اسكندروس)

---

١ History of the World, Vol., VI, P. X, Ency., I, P. 765.
٢ Musil, Hegaz, P. 60.
٣ Ency., I, P. 765.
٤ بلدانية فلسطين (ص ٢٣) ، Ency., I, P. 765.
٥ اللسان (٦٨/٤) ، (صادر) ، (بصرد) .
٦ Hill, P. XXIV.

(Severus Alexanderus) ، بـ (مستعمرة بصرى) (Colonia Bostra)[1] . ويعني هذا حدوث تغير في النظام الاداري لهذه المدينة في هذا العهد . ويرى بعض الباحثين أنها جعلت في درجة مستعمرة ، أي (Colonia) قبل أيام (سويروس)، وبقيت في هذه المرتبة حتى عهد (سبتيميوس سويروس) (Septimius Severus) غير أن (هل) وآخرين يعارضون هذا الرأي ويرفضونه ، ويرون أن ذلك كان في أيام (سويروس اسكندروس) ، لا قبله ، وانها لم تعرف بـ (Colonia Bostra Nova Traiana Alexandriana) إلا في أيامه[2] . وأما في نقود (يولية مامية) (Julia Mamaea) ، فقد دعيت بـ (Colonia Bostra) كذلك[3] .

وأعيد النظر في مرتبتها في أيام (فيليب سنيور) (فيليب الأقدم) (Philip Senior) على ما يظهر، فجعلت في درجة (متروبوليس) (Metropolis)، فدعيت (Colonia Metropolis Bostra) . وحافظت على درجتها هذه في أيام (فيليب الأصغر) (Philip Junior)[4] . ولم يعثر على نقود ضربت في (بصرى) بعد أيام (تراجان دسيوس) (Trajan Decius) أو (تريبونيانوس غالوس) (طريبونيانوس غالوس) (Trebonianus Gallus)[5] .

وأما (Charachmoba) ، فإنها (قير موآب) (Kir Moab) في التوراة والتركوم . و (قير حاراش) (قير حراشات) (قير حارسة) من (موآب) وهي (الكرك)[6] . وقد عثر على نقد يعود الى عهد (Elagabalus) يظن انه من نقود هذه المدينة، وان الصورة المضروبة في الوجه المقابل لصورة (Elagabalus) ترمز الى الإلـه (دوشرى)[7] .

---

١ Hill, PP. XXIV, Morey, In REV. Numes., P. 81, 1911, Berytus, Vol., IX, Fasc., I, (1948), P. 43.

٢ Hill, P. XXV-XXVI.

٣ Hill, P. 22.

٤ Hill., P. 24, The Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine Vol., No. 3, 1931, P. 135.

٥ Hill, P. XXVI.

٦ قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٣٠) ،
Hill, P. XXX, XXXI, Ency., II, P. 855, Musil, Petraea, S., 45-62.

٧ Hill, XXX, XXXI, 27.

وتختلف وجهات نظر الباحثين في موضع مدينة (ديوم) (Dium) (ديون) (Dion) ، فمنهم يرى انها (الحصن) (قلعة الحصن) على مقربة من (اربد) وانها (Dia) عند (بطلميوس)[1] ومنهم من يرى انها (كفر أبيل) ، وآخرون يرون انها (تل الأشعري) ، وهكذا[2] . وهي من مـــدن (Decapolis) ، ثم ألحقت بـ (المقاطعة العربية) في عهد (سبتيميوس سويروس) (Septimius Severus) على ما يظن[3] . وقد عثر فيها على نقد ضرب باسم (Geta) [4] ، وأرخ تأريخ الضرب بتقويم (بومبيوس) ، وأشير في أحد وجهي النقد الى الإلـه (هدد) الذي صوّرته بعض النقود المضروبة في بعض المدن السورية . وهو يقابل الإلـه (زيوس) (Zeus) عند اليونان[5] .

ويراد بـ (Decapolis) الحلف المؤلف من عشر مدن ، تحالفت لـدفع غزو القبائل لها . ويظهر أنه ظهر الى الوجود في القرن الأول للميلاد . والمدن المذكورة هي: (Pella) و (Scythopolis) و (Dion) و (Gerasa) و (Philodelphia) و (Gadara) و (Raphana) و (Kanatha) و(Hippos) و (دمشق) . وقد انضمت اليه مدن أخرى بين حين وآخر . فلكون أرض هذا الحلف ممتـدة من دمشق الى الجنوب الشرقي لبحر الجليل (Sea of Galilee)[6] .

ومدينة (Eboda) ، هي (عبـــدة) (العبدة) في (العربيـــة الحجرية) (Arabia Petraea)[7] . وقد أشار (بطلميوس) الى أن (Eboda) = (Oboda) و (Gerasa) و (Gypsaria) و (Lysa) هي من مدن (العربية الحجرية) ، وجعلها بعضهم من (النقب)[8] . وتقع خرائب (عبدة) في جنوب (بئر السبع) (Beerscheba) وفي غرب (بطرا) وفي جنوبها سباخ ، غـير أن من المشكوك

---

١ عن (اربد) ، البلدان ، (١/ ١٧٠) ، بلدانية فلسطين (ص ٥) ، Provincia, III, S., 265, Hill, P. XXXI.

٢ Hill, P. XXXI.

٣ Hill, P. XXXI, Provincia, III, S., 264.

٤ Hill, P. 28.

٥ Hill, P. XXXI-XXXII, 28.

٦ Hastings, P. 183.

٧ Provincia, III, S., 268, Hill, P. XXXII.

٨ Provincia, III, S., 268, REV. Bibl., 1904, PP. 403, 1905, PP. 74.

فيه أن تكون هذه السباخ موضع (Ge'ham Maleh) ، أي وادي الملح[1] . وأما صنم (Eboda) ، فقد عرف باسم (زيوس عبودة) (Zeus Oboda)[2] .

وأما (Esbus) ، فإنها (حشبون) (Heshbon) في التـــوراة ، وتعرف اليوم بـ (حسبان) ، وتقع بين (فيلادلفيا) (عمان) و(مأدبا) ،وعلى مسافة (٢٦) كيلومتراً من شرق النهاية الشماليـــة للبحر الميت في صعيد (موآب)[3] . وهي من مدن العربية القديمة الشهيرة[4] . وفي التوراة انها كانت من مدن (الموآبين) ثم استولى عليها الملك (سيحون) ملك (الأموريين) وجعلهـــا عاصمة له ، ثم تغلب عليها الاسرائيليون ، ثم استعادها (الموآبيون)[5] . والظاهر انها كانت من مدن النبط ، ثم دخلت أخيراً في أملاك الرومان فالبيزنطيين . ولا تزال آثار المدينة القديمة باقية حتى الآن . وأما النقود التي ضربت فيها،فهي من أيام (Elagabalus) وبعضها من عهد (كركلا) (كاركلا) (Caracalla) . ويظهـر من بعض النقود انها كانت تعرف أيضاً بـ (Aurelia)[6] . و (Gerasa) هي (جرش) في الزمن الحاضر ، ونسبهـــا (ياقوت الحموي) الى رجل زعم أن اسمـــه هو (جرش بن عبد الله بن عليم بن جناب بن هبـل بن عبد الله بن كنانـة بن بكر ابن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيـدة بن ثور بن كلب بن وبرة)[7] . وتقع عند الحافة الجنوبية الشرقية لسلسلة (عجلون) ، ولا يعرف أصلها ومبدأ تأريخها على وجه التحقيق . ولم يرد اسمها في التوراة[8] . وقد أشير اليها في كتب (الحديث)[9] .

---

١ Musil, Hegaz, P. 253, 255.

٢ Hill, P. XXXII.

٣ قاموس الكتاب المقدس (١/٣٧٤) ،
Hill, P. XXXII, Reallexikon, VI, S., 613, Musil, Petraea, I, P. 383.

٤ Ency., Bibli., P. 2044.

٥ العدد ، الاصحاح ٢١ ، الاية ٢٥ وما بعدها ، الاصحاح ٣٢ ، الاية ٣٧ ، اشعيا ، الاصحاح ١٥ ، الاية ٤ ، والاصحاح ١٦ ، الاية ٨ وما بعدها ، وارميا ، الاصحاح ٤٨ ، الاية ٢ ، ٣٤ ، ٤٥ ، والاصحاح ٤٩ الاية ٣ .

٦ Hill, P. XXXIII, Hastings, P. 346.

٧ البلدان (٣/٨٥) ، بلدانية فلسطين (٥٢) .

٨ Ency., I, P. 1017, Hastings, P. 290.

٩ اللسان (٦/٢٧٢) .

وبظن بعض الباحثين انها (راموت جلعاد) (Ramoth-Gilead) المذكورة في العهد العتيق[1] . ويظهر انها من المدن التي عرفت بعد عهد (اسكندر الكبير)، وقد استولى عليها (اسكندر ينيوس) (اسكندر جنيوس) ملك (يهوذا) ، ثم تحررت من اليهود في عهد (بومبيوس) ، وألحقت بكورة (سورية الرومانية)، ثم أضافها (تراجان) في عام (١٠٦) بعد الميلاد الى (الكورة العربية)،وضمت بعد ذلك الى كورة (فلسطين الثانيـة) (Palestina Secunda) أي الأردن[2] .

وكانت (جرش) مركزاً لعبادة الإلـه (ارتيمس) (Artemis) ، وهـو (ديانا) (Diana) عند الرومان، وابنة (زيوس) (Zeus) و (ليتو) (ليطو) (Leto) عند الإغريق[3] ، كما كانت أسقفية معروفة قبل الإسلام ، وتشاهد آثار كنائس ومباني رومانية وبيزنطية ونبطية لا تزال باقية حتى اليوم[4] .

وأما (Medaba) = (Medeba) ، فهي (مأدبا) وهي (ميدبا) في التوراة. وهي من أقدم مدن (موآب) ، وقد ذكرت في سفر (العدد) مع (حشبون) و (ديبون)[5] . وكانت في أيدي (العمونيين) في ملك (داود) . وفي أيام (أشعيا) عادت الى يد (موآب)[6] . وفيها قتل (يوحنا مكابيوس) (يوحنا المكابي)[7] . وسبق أن ذكرت أن (بني يمرى) (Bne-Amri) = (Bne-Imri) قتلة (يوحنا) كانوا من سكان (ميدبا) (مأدبا) ، وهم من العرب . وقد جعلها (بطلميوس) في جملة مدن (العربية الحجرية)[8] . أما (أويسبيوس) (Eusebius) و (جيروم) ، فذكراها في جملة مدن (العربية)[9] . وتقـع خرائب تلك المدينة القديمة على مسافة (١٤) ميلاً شرقي (بحر لوط) ، وهـي مبنية على رأس تل وحوله ، وفيه آثار المدينة القديمة . والى الجهة الجنوبيـة منها

---

١ Hastings, P. 290.
٢ Ency., I, 1017, Schürer: Geschichte des jüdischen Volkes, II, S., 182.
٣ Hastings, P. 290, Harvey, P. 52.
٤ Ency., I, P. 1017.
٥ عدد ، الاصحاح ٢١ ، الآية ٣٠ .
٦ اشعيا ، الاصحاح الخامس عشر ، الاية ٢ .
٧ قاموس الكتاب المقدس (٢/٣٩٧) .
٨ Ptolemy, V, 17, 6, VIII, 20, 20, Ency. Bibli., P. 3003.
٩ Eusebius, 138, 32, 279, 13, Ency. Bibli., P. 3003.

بركة ، والى الشرق والشمال برك أخرى . وتوجد آثار هيكل كبير بينها عمودان واقفان[2] . ومن أنفس ما عثر عليه في هذه المدينة القديمة خارطة من (الموزاييك) الفسيفساء (Mosaic) لفلسطين النصرانية ومصر[2] ، كما عثر فيها على نقود من أيام الرومان واليونان[3] . وقد ازدهرت بعـــد الميلاد : فصارت مركز (أسقف) ، ومثلث في مجمع (خلقيدون) (Chalcedon)[4] .

وأما (فيلادلفيا) (Philadelphia) ، فهي (ربة) و (ربة بني عمون) (Rabbath — Bene — Ammon) في التوراة . وهي في (جلعاد) بالقرب من مخرج نهر (يبوق) وعاصمة (بني عمون)[5] . وذكر (اصطيفانوس البيزنطي) انها كانت تعرف بـ (Astarty) . وقد يكون لهذا القول أصل ، فقد ورد في بعض الكتب ان من مدن (سورية) مدينة عرفت بـ (Asteria) ، وللتسميتين علاقة بالصنم (عشتروت) (Asteria)[6] . وعلى أنقاض هذه المدينة القديمة تقع (عمان) عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية . وأما سبب تسميتها بـ (فيلادلفيا) ، فلتجديد بنائها واعادة تعميرها في عهـــد (بطلميوس فيلادلفوس) (Ptolemy Philadelphus)(٢٨٥ — ٢٤٧) قبل الميلاد فعرفت به[7] . وصارت من أشهر مدن (Decapolis)[8] . وقد انتزعها (أنطيوخس أبيفانوس) (Antiochus Epiphanes) من (بطلميوس فيلوباتر) (بطلميوس فيلوباطر) (Ptolemy Philopater) في سنة (٢١٨) قبل الميلاد[9] ، وكان يحكمها في أيام (هركانوس) ملك (يهوذا) (١٣٥ — ١٠٧) قبل الميلاد ، حاكم اسمه (زينو كوتيلوس) (Zeno Cotyles)[10] .

---

١ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٨/٢) .

٢ Ency. Bibli., P. 3003, Hastings, P. 596, Clermont Ganneau, in: Recueil D'Archeol. Orient., XI, P. 161, 1897), A. Jacoby, Das geogr. Mosaik von Medaba, 1905, Musil, Petraea, I, PP. 113.

٣ Hill, I, XXXV, 33.

٤ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٧/٢) ، Hastings, P. 596.

٥ قاموس الكتاب المقدس (٤٧٣/٢) .

٦ N. Glueck: The River Jordan, 1946, P. 839, 93, 189, Hill, P. XXXIX.

٧ Hastings, P. 780, Ency., Bibli., P. 3998.

٨ N. Glueck, P. 48, 89, 175, 189, Ency. Bibli. P. 3998.

٩ Polybius, (Polubios), 5, 17, Ency. Bibli., P. 3998

١٠ Josephus, Antiq., XIII, 8, I, 15, 3. Ency. Bibli., P. 3998.

وكانت بأيدي النبط في سنة (٦٥) قبل الميلاد[١] .

وتنسب (فيليب بولس) (Philippopolis) ، وهي (شهبة) (شحبة) في الزمن الحاضر[٢] ، وتقع على مسافة سبعة كيلومترات شمال (القنوات) الى (فيليب) (فيلفوس)[٣] المعروف بالعربي (M. Julius Philippus Arabus) (٢٤٤ – ٢٤٩ م)[٤] . وقد عرف بالعربي لأنه كان عربي المولد[٥] . وكان قد نشأ وترعرع في (بصرى) ، ثم دخل الجيش الروماني وتقدم فيه ، وأصبحت له مكانة كبيرة أوصلته الى أعلى مراتب الدولة ، وهي (قيصر)[٦] .

ويرى بعض الباحثين انه أنشأ هذه المدينة في سنة (٢٤٨) بعد الميلاد أو بين (٢٤٧) و (٢٤٨) بعد الميلاد . ويرى (كوبيجك) (Kubitschek) انه أسسها في عام (٢٤٤) ، أي قبل ذهابه الى (رومة)[٧] . وجعلها في درجة (مستعمرة) (Kolonia) = (Colonia) رومانية . ولا تزال أنقاض هذه المدينة باقية حيث تشاهد آثار معابدها وشوارعها وبعض أبنيتها ومسرح وغير ذلك مما جاء وصفه في كتاب : (Die Provincia Arabia)[٨] ، كما عثر فيها على كتابات ورد فيها اسم (القيصر) (فيليب)[٩] ، كما عثر فيها على نقود[١٠] .

وأما (Rabbathmoba) ، وتعرف في اليونانية باسم (Areopolis) ، فإنها (ربة) (ربا) ، وهي مدينة بنيت في عهود الرومان المتأخرة على رأي بعض الباحثين[١١] . وقد عثر فيها على نقود ضرب عليها اسم (سبتيميوس سويروس) وأسرته . ويظن أن الصورة الرمزية المضروبة على عدد من نقود (ربة) تشير إلى

---

١ Ency. Bibli., P. 3998.

٢ (شحبة) ، Provincia, III, S., 145, 147.

٣ (فيلفوس) الطبري (١/٦٩٤ ، ٧١٩) ، فهرست تأريخ الطبري ، عمل (دي غويه) (ص ٤٥٤) .

٤ Hill, P. XXXIX, Die Araber, II, 4.

٥ The Historians' History of the World, Vol., VI, P. 412.

٦ Leopold von Ranke: Weltgeschichte, BD., 5, S., 163,

٧ Hill, P. XIII, Provincia, III, S., 305.

٨ Hill, P. XII, Provincia, III, S., 305.

٩ Hill, P. XIII.

١٠ Provincia, III, S., 145.

١١ Hill, XIII, Provincia, I, S., 55, Burckhardt, 377, H.B. Tristram: The Land of Israel, 110.

إلّه لعله الإلّه (Kemosh) أو الى معبده الخاص به ، على نحو ما رأينا في بعض النقود من ذكر (متاب) ، وهو معبد (دوشرى) ليرمز إلى الإلّه[1] . ويرى بعض الباحثين أن (Kemosh) هو إلّه الحرب[2] .

ومن مدن الكورة العربية الأخرى : (Sodoma) ، ولعلها (الزوراء)[3] ، و (السويداء) (Dionysias) ، و (Beretana) ، وقد وردت أسماؤهـا في مجمع (نيقية) . وقد ألحقت (السويداء) بالكورة العربية في أيام (سويروس) و (Adrama) و (Constantine) و (Neapolis) ، وقد وردت أسماؤها في جملة الأسماء المدوّنة في أعمال مجمع (القسطنطنية) المنعقد عام (٣٨١) للميلاد[4] . و (Ziza) و (Dia-fenis) و (Tricomia) و (Areopolis) و (Canotha) و (Nela) و (Zerabena) و (Anitha) و (Eutymia) و (Chrysopolis) و (Erra) و (Neve) و (Maximianopolis) و (Phaena) و (Aena) ، وقـد وردت أسماؤها في سجلات أعمـال مجمع (خلقدون) (خلقيدون) (Chalcedon) (٤٥١ م)[5] .

وذكر (بطلميوس) أسماء مواضع أخرى يقع بعضها في النقب (Negeb) = (Negev) غرب (العربـة)[6] . وسجلت في (Notitia Dignitatum) أسماء (Motha) ، وهي : (أمنان) (Speluncae) ، وهـي (دير الكهف) ، (Mefa) و (Gadda) وهي (خو) ، و (Betthoro) و (Dia-Fenis) و (Auatha) و(Gomotha) و(Libona)) و (Naarsafari) و (Thainatha) و(Adittha) وهي(الحديد) و(Asabaia) و (Ultha) و (Uade Afar) و(Castra) (Arnonensia)[7] ، على انها من مواضع الكورة العربية . وهناك أماكن أخرى ذكرت أسماؤها في كتاب : (Die Provincia Arabia) ، قد يخرجنا تعدادها عن

---

١ Hill., P. XIII.

٢ Hill, XIII, Baethgen: Beiträge zur Semit. Religiongeschichte, S., 14.

٣ Provincia, III, S., 253.

٤ Provincia, III, S., 252, 353.

٥ Provincia, III, S., 263, Harduin, Kritische Angabe der Unterschriften von Geltzer, Leipzig, 1893.

٦ Provincia, III, S., 256, Ptolmey, V, 16.

٧ Provincia, III, S., 256, Notitia Dignitatum. Ori., 37.

أصل الموضوع[1] .

وقد أوكلت مهمة المحافظة على الأمن في (الكورة العربيـة) الى الكردوس (اللجيون) (Legion VI Ferrata) الروماني الذي كان معسكـراً منذ أمد في (سورية) ، فصدر الأمر اليه في سنة (١٠٦) للميلاد على ما يظهر بنقل مقره من شمال سورية الى هذه الكورة الجديدة التي أنشأها (تراجان)[2] . ثم نقل مقره في أيام (هدريانوس) (Hadrianus) الى (اللجون) (Caparconta) في (الجليل) (Galilee) [3] . وفي أيام (هدريانوس) أيضاً وفي سنة (١٣٥) للميلاد وهي سنة استيلائه على القدس واخماده الثورة التي قامت في (اليهودية) أمر بانشاء (Aelia Capitolina) . لأغراض عسكرية على ما يظهر[4] .

ويرى بعض الباحثين أن الكورة العربية قد قسمت في القرن الثالث للميلاد وفي (ديوقليطيـــان) (ديوقلطيـــانوس) (Diocletianus) = (Diocletian) الى كورتين : كورة شماليـــة عاصمتها (بصرى) وعرفت بـ (كـــورة بصرى) (Provincia Bostron) ، وكورة جنوبية وعاصمتهـــا (بطرا) وعرفـت باسم (كورة بطرا) ، وبعبارة أصح (الكورة الحجرية) (Provincia Petrae) ، وتعرف بـ (العربية) أيضاً[5] .

أما في القرن الرابع وفي حوالي سنة (٣٠٧) للميلاد تقريباً ، فقد اقتطعت منها بعض المدن ، مثل (أيلة) و (Phainon) ، وألحقت بفلسطين ، وبذلك تقلصت (Praeses Arabiae) وتوسعت رقعة فلسطـين (Praeses Palestinae) كثيراً . ويظهر أن الضرورات العسكرية هي التي دفعت الى احداث هذه التغيرات[6] .

وحدثت تغيرات أخرى في (الكورة العربية) في القرنين الخـامس والسادس

---

١ Provincia, III, S., 253.

٢ The Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine, Vol., II, III, 121, Harvard Excavations at Samaria, 1908-1910, I, 251, I, II, Plate 59.

٣ The Quarterly, II, III, P. 121, 1933.

٤ The Quarterly, II, III, P. 120.

٥ Provincia, III, 271, Mommsen: Verzeichnis der Römischen Provizen, S., 501.

٦ Provincia, III, S., 275.

للميلاد، فانتزعت منها مدن أخرى ألحقت بـ (فلسطين الثالثة) (Palestina Tertia) وتعرف أيضاً بـ (Palestina Salutaris)[1] .

أهل الكهف والرقيم :

ولا بد لي وقد انتهيت من الحديث عن النبط وعن (الكورة العربية) من الكلام عن أهل الكهف والرقيم ، الـذين ذكروا في القرآن الكريم : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً »[2] . إذ ذهب بعض علماء التفسير الى أن الرقيم واد دون فلسطين فيه الكهف ، وهو قريب من (أيلة) . كان اليهود قد أوحوا الى المشركين من أهل مكة، أن يسألوا الرسول عنهم ، امتحاناً له . وكانوا يتداولون أخبارهم ، ويروون قصصاً عنهم ، كان شائعاً فاشياً اذ ذاك بين النصارى أيضاً ، فجاء الجواب عنهم في سورة (الكهف)[3] .

وهناك من زعم أن (الرقيم) على فرسخ من (عمّان) ، أو قرية صغيرة بالقرب من البحر الميت ، أو أنها (البتراء) : وذلك بالإضافة الى روايات أخرى رَجَعَت مكان (الكهف) الى (أفسس) (أفسوس) ، بالأناضول ، أو الى أماكن أخرى لا داعي الى ذكرها في هذا المكان ، لعدم وجود علاقة لها بهذا البحث . وقد بحث عنها المتخصصون ، كما قامت بعثات آثارية بالبحث عن كهف (أهل الكهف) في الأماكن المذكورة ، للتأكد عمّا جاء عنه في الموارد النصرانية والاسلامية ، فإليها أحيل من يريد التبسط في الكلام عنه[4] .

---

١ Provincia, III, S., 280.

٢ سورة الكهف ، الاية ٩ .

٣ تفسير الطبري (١٢٦/١٥ وما بعدها) ، (طبعة بولاق) ، تفسير النيسابوري (١١٦/١٥ وما بعدها) ، (حاشية على تفسير الطبري ، طبعة بولاق) ، تفسير القرطبي (٣٥٦/١٠ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٧٣/٣) .

٤ راجع دائرة المعارف الاسلامية ، Encyclopedia of Islam ، ومجلة : Review de Qumran, Vol. 5, No. 18, 1965. وما كتبه (ماسنيون) و (بارنيوس) Baronius و (تاليمونت) Talimont عن الكهف . واشكر دائرة الاثار بعمان في المملكة الاردنية الهاشمية لتفضلها علي بارسال صورة كتابة (بئر ام الرجوم) ، ومقال يقع في (٣) صفحات للسيد رفيق وفا الدجاني عنوانه : كهف ، اهل الكهف في الرجيب ، وذلك بكتابها المرقم ب ٢-١٤ -٤-١٩٥٨ والمؤرخ لـ (١٨-٨-١٩٦٦ م) .

ولقد تبين الآن ان الكتابات المدونة عند مدخل (الشق) في (البتراء) ، لا صلة لها بأهل الكهف ، وانما كتبت تخليداً لذكرى جماعة من اليونان البارزين جاءوا من (جرش) فوافاهم أجلهم بـ (البتراء) ، ماتوا قبل (أصحاب الكهف) بأمد . وقد شرح تلك الكتابات (ستاركي) (Starkey)[1] . وذهب الباحثون في (دائرة الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية) الى أن كهف (أهل الكهف) ، هو (كهف الرجيب) ، وهو على مقربة من قرية صغيرة تدعى (الرجيب) ،وجدت بداخله مدافن يرجع عهدها الى زمان القيصر (ثيودوسيوس الثاني) (Theodosius II) (٤٠٨ – ٤٥٠ م) ، الذي في زمانه كان بعث أهل الكهف . وذهبوا الى ان اسم هذا الموضع في القديم هو (الرقيم) ، تحوّل الى (الرجيب) فيما بعد . وأيد هذا الرأي الأستاذ (هج نيلي) (Hugh Nilley) الذي زار الموضع ودرسه ، وكتب مقالاً عنه[2] .

وذهب من رأى ان كهف الرجيب هو (كهف أهل الكهف) ، الى أن دخول الفتية الكهف ، كان في أيام الطاغية (تراجان) (٩١ – ١١٧ م) المشهور ، فاتح (الكورة العربية) ومؤسسها والآمر بانشاء الممر الحربي المعروف باسم (طريق تراجان) وباني مدينة (أيلة) الرومانية وصاحب الملعب الروماني والآثار العديدة للمباني التي أقامها بعمان وبمدن أخرى من الأردن . وقد كان شديداً عاتياً قاسياً على النصارى ، عدّهم خونة مرقة خارجون على الدولة والقانون لذلك أصدر أمره سنة (١١٢م) بقتل كل نصراني لا يخلص للقيصر والدولة ، فخاف منه النصارى وتكتموا ، وكان من جملة من تكتّم وانزوى (أصحاب الكهف)[3] .

ووجدت البعثة الأميركية لمدرسة الأبحاث الشرقية بالتعاون مع دائرة الآثار الأردنية في موضع (أم الرجوم) الواقع على بعد (١٥) كيلومتراً شمال (عمان)،

---

١ (ص ٢) من مقال السيد رفيق وفا الدجاني ، المرسل الي ، وهو يشير الى الجزء العاشر من حوليات دائرة الآثار .

٢ من مقال السيد رفيق وفا الدجاني ، المرسل لي بكتاب دائرة الاثار الاردنية المشار اليه ، وقد اشار الى مجلة Revlew de Qumran, Vol., 5, No : 18, 1965.

٣ المصدر المذكور .

آثار بئر قديمة استدل من كتابة عثر عليها مدوّنة على جدارها انها تعود الى ما قبل الميلاد . وأن الموضع المذكور هو حصن من الحصون التي كانت تدافع عن مدينة (ربّة عمون) ، عاصمة مملكة (عمون) ، التي عاشت بين القرن الثالث عشر والقرن السادس قبل الميلاد . و (ربة عمون) ، هي (عمان) العاصمة

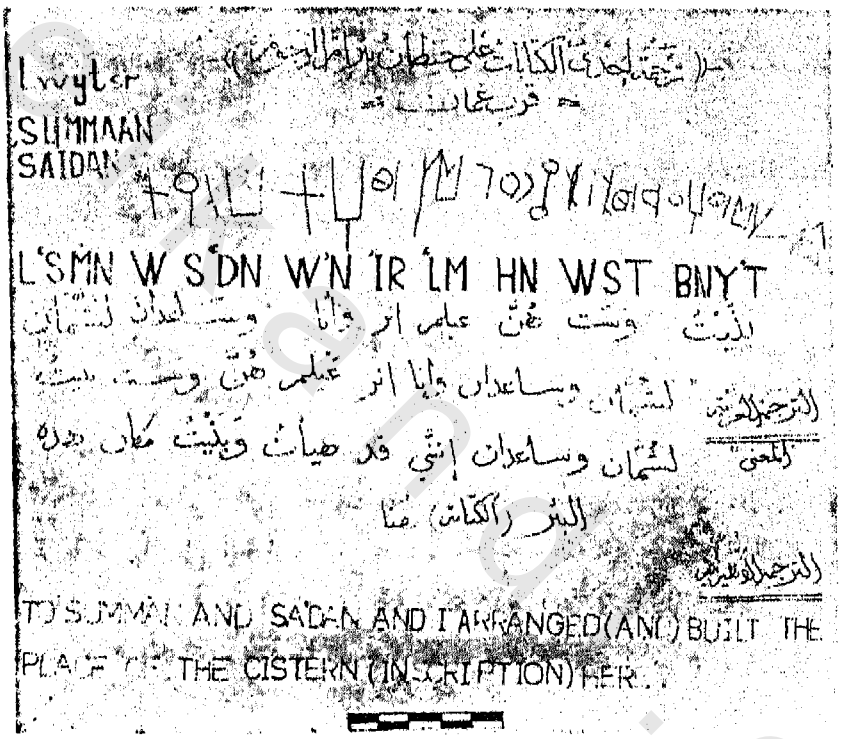

هذه صورة الكتابة التي دونها الباحثون لكتابة بئر ام الرجوم
أهدتها لي دائرة الآثار الأردنية بعمان ، فلها شكري

الآن . وقد كتبت الكتابة بخط مشتق من القلم العربي الجنوبي ، يظن البعض أنها من كتابات القرن السابع قبل الميلاد .

ويظهر من هذه الكتابة المهمة ، أن أصحابها كانوا يكتبون بقلم قريب من

القلم المسند ، وقريب من القلم اللحياني والثمودي والصفوي ، وأن لهجتهم كانت لهجة عربية ، أي ان أصحابها من العرب . وقد كتبوها لمناسبة إقامة تلك البئر التي حفرها وهيأها (شمّان) و (سمّان) و (ساعدن) (سعد) (ساعد) وهما أصحاب هذه الكتابة والبئر[1] .

---

١ كتاب دائرة الاثار الاردنية المؤرخ لـ ١٨-٨-١٩٦٦ م والمرقم بـ (٢-١٤-٤-١٩٥٨) .

obeikandl.com